



جامعة الجزائر 3
كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية
قسم الدراسات الدولية

مطبوعة جامعية في مقياس: الفضاءات الإستراتيجية

موجهة لطلبة الماستر - السنة الثانية - السداسي الثالث 2019 - 2020
تخصص: الدراسات الإستراتيجية والأمنية

أستاذة المقياس: د. شريفة كلاع

أستاذة محاضرة "أ"

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، الجزائر

Faculty of Political Science and International Relations, University of Algiers 3, Algeria

السنة الجامعية: 2019 - 2020



جامعة الجزائر 3
كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية
قسم الدراسات الدولية

مطبوعة جامعية

في مقياس: الفضاءات الإستراتيجية

تخصص: الدراسات الإستراتيجية والأمنية

أستاذة المقياس: د. شريفة كلاع

أستاذة محاضرة "أ"

سنة ثانية ماستر/ السداسي الثالث - السنة الجامعية 2020/2019

د. شريفة كلاع Cherifa Klaa

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، الجزائر
Faculty of Political Science and International Relations, University of Algiers 3, Algeria

سنة ثانية ماستر

تخصص: الدراسات الإستراتيجية والأمنية

السنة الجامعية (2020/2019)

برنامج مقياس: الفضاءات الإستراتيجية

برنامج محاضرات المقياس:

المحور الأول: فضاء القوة البرية

المحور الثاني: فضاء القوة البحرية

المحور الثالث: فضاء القوة الجوية

المحور الرابع: فضاء القوة الفضائية

المحور الخامس: فضاء القوة السيبرانية (الإلكترونية)

تقديم وتوصيف لمقياس: الفضاءات الإستراتيجية

يهتم مقرر وبرنامج المقياس بتعريف الطالب بموضوع الفضاءات الإستراتيجية من حيث المفهوم والأنواع، كما يهدف إلى شرح فضاء كل قوة على حدة، وذلك من خلال التطرق إلى كل فضاءات القوى الخمسة كما يلي: فضاء القوة البرية، القوة البحرية، القوة الجوية، القوة الفضائية، والفضاء الأخير ألا وهو فضاء القوة السيبرانية، ولذلك تعد دراسة فضاءات القوة الخمسة الإستراتيجية ضرورة ملحة لدى دارسي تخصص العلوم السياسية والعلاقات الدولية، وتحديدًا تخصص الدراسات الإستراتيجية والأمنية وباقي التخصصات ذات العلاقة والمتداخلة مع هذا التخصص، وكنتيجة لمرحلة ما بعد الإنتهاء من هذا البرنامج سوف يكون الطالب قادرًا على أن:

- 1 - يعرف المفاهيم والمصطلحات الخاصة بكل فضاء من فضاءات القوة الإستراتيجية، ولذلك كان لزامًا التطرق إلى كل فضاء قوة على حدة من تعريف ونبذة عن تطوره ونشأته، وأهم مفكره ومنظريه الإستراتيجيين.

- 2 - يحلل بشكل علمي فضاءات القوة وأثرها على قوة أو ضعف الدول.

- 3 - يجيد التحليل السليم لظاهرة تأثير الجمع بين فضاءات القوة الإستراتيجية جميعًا على مكانة الدول في العالم من أجل السيطرة وبسط النفوذ العالمي.

إن من مميزات مجموع محاضرات هذا المقياس أنها تجمع كل ما يحتاجه الطالب في فضاءات القوة الإستراتيجية في مرحلة الماستر تخصص الدراسات الإستراتيجية والأمنية أو المراحل المتقدمة فيما بعد التدرج في تخصصات الدكتوراه ذات العلاقة، إنها مرجع مهم لكل متخصص في الدراسات الإستراتيجية، وعليه نسعى من خلال هذا المجهود البحثي تدعيم مكتبة الكلية فيما يتعلق بمقياس الفضاءات الإستراتيجية وزيادة إثراء المعلومات والمفاهيم والتطرق إلى مختلف نظريات القوة الإستراتيجية بشكل أكثر دقة من حيث المعلومات بكل موضوعية، بلغة سليمة خالية من الركاكة اللغوية، والتي قد عانيت منها كباحثة أثناء جمع وكتابة المعلومات من مختلف المراجع، آملة أن يساعد الطلبة في فهم المقياس بشكل أحسن، ونسأل الله التوفيق والسداد.

المحور الأول: فضاء القوة البرية

بداية وُجب التطرق إلى مفهوم فضاء القوة البرية، هذه الأخيرة التي تعني استخدام الفضاء البري لتحقيق النصر في المعارك، وهو مفهوم قد لاقى إهتماما كبيرا منذ القديم، قدم الفكر الإستراتيجي العسكري، إذ كانت المعارك البرية هي من تحسم الحرب، وتجعل القوى أو الدول المعتمدة على أولوية القوة البرية في إستراتيجياتها تسعى للقوة والسيطرة من خلال هذا الفضاء البري، ولقد إهتم الجغرافيون والعسكريون بهذا الفضاء كمجال للسيطرة وتقرده عن باقي فضاءات القوة الأخرى مقدمين إفتراضات نظرية ومبررات، تجعل من فضاء القوة البرية هو المسيطر وباقي الفضاءات الأخرى كمكمل ثانوي للقوة وكمدمع ثانوي، وبناء لذلك سيتم التطرق إلى فضاء القوة البرية من خلال شرح واف لها.

1. الخلفية التاريخية لنشأة فضاء القوة البرية

لقد شهدت الأوساط الأكاديمية والعسكرية والدبلوماسية البريطانية نشاطا واضحا¹، وقدمت إضافات أخرى في الفكر الإستراتيجي حول الحرب وهو ما تمثل في أعمال المفكر الإستراتيجي البريطاني "هارفورد جون ماكندر Halford John Mackinder (1861 - 1947)" المقدمة إلى الجمعية الجغرافية الملكية في لندن عام 1904، وبالرغم من الملامح المرتبطة بالجغرافيا السياسية لهذه النظرية، إلا أنها تعتبر أيضا ضمن النظريات المشكلة للخلفيات النظرية للدراسات الإستراتيجية والأمنية الخاصة بدور القوة البرية في الحروب².

لقد تجمعت خبرات وملاحظات وأفكار "ماكندر" نتيجة الأحداث التاريخية كتأثره بحرب بريطانيا مع "البوير" في جنوب إفريقيا والتي انتهت عام 1902، والحرب الروسية - اليابانية في منشوريا عام 1905، فهذه الأحداث وعوامل أخرى مؤثرة دفعت لتكوين مفهوم "المحور الأرضي"، إذ كشفت تلك الأحداث عن العقبات التي كانت تعترض إستراتيجية القوى البحرية مع ظهور

1 - نوار محمد ربيع الخيري، مبادئ الجيوبوليتيك، (بغداد: دار ومكتبة عدنان للنشر ودار أفكار للدراسات والنشر، 2014)، ص. 165.

2 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، (القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2011)، ص. 311.

التطورات الجديدة من ناحية، والتطور الواضح في النقل البري الذي أعطى مميزات للقوة البرية جعلها لا تتوفر في القوة البحرية من ناحية أخرى¹.

2. افتراضات نظرية أولية القوة البرية

1. فكرة قلب الأرض:

تتركز نظرية "ماكندر" على فكرة معطيات الجغرافيا والإمكانيات أو العيوب التي تمنحها للدول، من أجل فهم السياسات الخارجية للأطراف الدولية، على افتراض أن هذه المعطيات تتحكم إلى أبعد الحدود في السلوك الإنساني سواء الحربي منه أو السياسي أو الإقتصادي، وهي الفكرة التي طرحها أيضا من قبل "ابن خلدون" حول تأثير طبيعة الجغرافيا في الشخصية الإنسانية الميلالة نحو الحرب أو السلب، والاستراتيجيات التي تصممها وفق تأثير البيئة الجغرافية المحيطة بالإنسان².

تعتبر نظرية قلب الأرض (قلب العالم / أو الهارتلاند Heartland) التي صاغها "ماكندر" إحدى النظريات الأكثر شهرة في مجال القوى العالمية وذلك من خلال مقال له بعنوان "محور الإرتكاز الجغرافي The Geographical pivot of history" الذي نشر عام 1904 في المجلة الجغرافية³.

ولقد حظي "ماكندر" باهتمام كبير من قبل الجغرافيين والسياسيين خاصة في ما يخص محاضراته عن "الإرتكاز الجغرافي The Geographical pivot of history" التي قدمها في الجمعية الجغرافية البريطانية عام 1904م، فقد أثارت هذه المحاضرة نقاشا استمر نصف قرن من الزمن، وقد أثرت على أفكار "كيلين" و"هوسهوفر" وأثرت في الإستراتيجية الألمانية عام 1940م، حيث عاد "ماكندر" وعدل في نظريته عام 1919م في كتابه "المثل الديمقراطية والحقيقة" ويعود لها مرة ثانية عام 1943م في ضوء الأحداث المشهورة في الحرب العالمية الثانية، وكان عمره آنذاك 83 سنة، وقد لاحظ "ماكندر" أن ثلاثة أرباع مساحة القارة الأرضية مغطاة بالمياه في حين أن

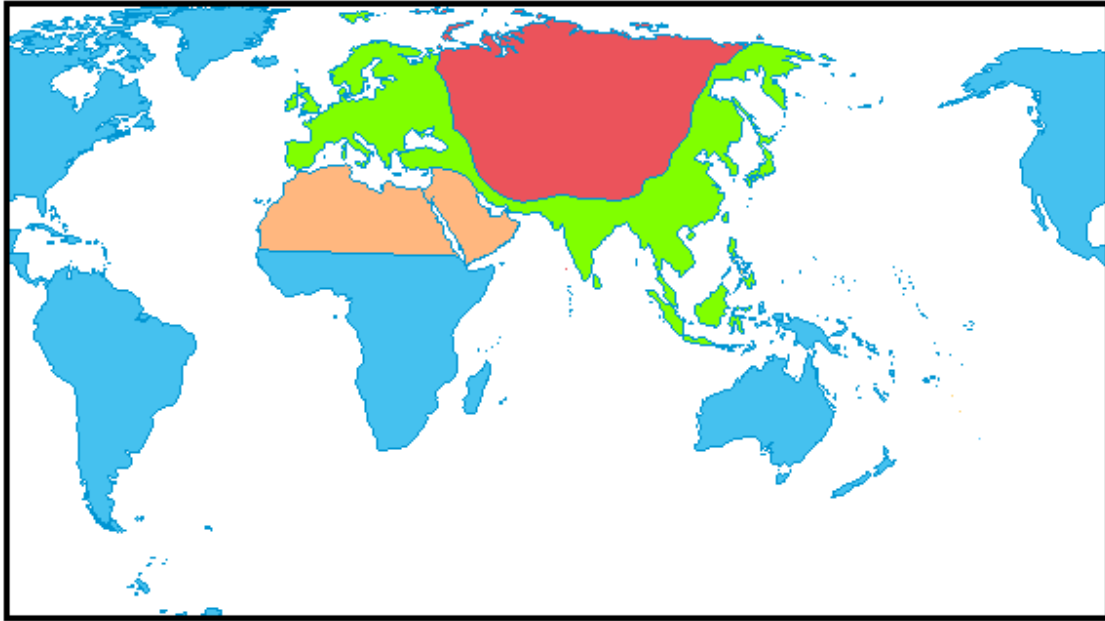
1 - نوار محمد ربيع الخيري، مرجع سابق، ص. 167.

2 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 311.

3 - محمد رزيق، الجيوبوليتيكا: المفاهيم والدلالات - المدارس والنظريات، (الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2014)، ص. 67.

مساحة اليابسة لا تتجاوز ربع إجمالي مساحة العالم، ولاحظ اتصال البحار ببعضها البعض فأطلق عليها "المحيط العالمي World Ocean" كما أطلق على اليابس القديم إسم "جزيرة العالم World Island" والتي تشغل 16/1 من مساحة العالم، واعتبر أن أمريكا الشمالية واللاتينية وأستراليا بمثابة جزر تحيط باليابسة تغطي نحو 12/1 من مساحة الكرة الأرضية، وتتكون الجزيرة العالمية من أفريقيا وآسيا يتوسطها البحر الأبيض المتوسط، وقد أشار إلى أن 16/14 من سكان العالم يقطنون هذه الجزيرة أما الجزر المحيطة فيسكنها 6/1 من سكان العالم، ويسكن الجزر الخارجية أمريكا الشمالية واللاتينية وأستراليا نحو 16/1 من سكان الكرة الأرضية¹.

خريطة رقم 01: نظرية قلب العالم حسب ماكندر لعام 1904



المنطقة المركزية (قلب الأرض)	■
الهلال الداخلي	■
الصحراء	■
الهلال الخارجي	■

المصدر: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria6/OsosAmnWat/map01.GIF_cvt.htm

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، الجغرافيا السياسية بين النظرية والتطبيق الجيوسكري، (عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع، 2019)، ص. 113.

لقد أطلق "ماكندر" على المنطقة الوسطى من الجزيرة إسم "منطقة الإرتكاز Pivot Area" وقد عدلها فيما بعد إلى "منطقة القلب Heartland"، حيث يعد "فيرجريف" أول من استخدم اصطلاح "قلب العالم" ويمتد من نهر الفولغا غربا إلى شرق سيبيريا، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى هضاب إيران وأفغانستان وبلوجستان في الجنوب، حيث يغلب طابع السهول على المناطق الشمالية والوسطى والغربية ولا يتخللها سوى جبال الأورال، كما تتصرف مياه القلب داخليا صوب المحيط المتجمد الشمالي، حيث تقع غالبية منطقة القلب في روسيا وجزء من غرب الصين ومنغوليا وأفغانستان وإيران عدا مناطقها الساحلية، كما أضاف "ماكندر" بتعديله الثاني مناطق جديدة إذ مد حدود منطقة القلب إلى شرق أوروبا حتى نهر الألب، وتجدر الإشارة هنا بأن منطقة القلب تمتاز بكونها منطقة سهلية ذات تصريف داخلي، حيث تعد قلعة دفاعية وأفضل نموذج للدفاع بالعمق كما أنها محاطة من الشمال بمسطح مائي متجمد أغلب أيام السنة ويشكل منطقة حماية للقلب¹.

الإفتراضات النظرية:

في سبيل صياغة نظريته قام "ماكندر" ببلورة مجموعة من الإفتراضات التي تقوم عليها نظرية قلب الأرض، ويمكن صياغتها في مجموعة من النقاط هي كالتالي:

1. يفترض أن العالم ككل عبارة عن نظام مغلق في شبكة من الإرتباطات السياسية والاقتصادية والعسكرية المتبادلة، ومن ثم يمكن لكل دولة أن تجد نفسها منخرطة في الحرب في حال نشوبها في النظام الدولي بشكل آلي، نتيجة لهذا التشابك المتبادل.
2. تعتبر معطيات الجغرافيا المادية، عوامل أو متغيرات حاسمة في التحكم في مجريات العلاقات بين الدول وصياغة مخرجاتها سواء في حالة النزاع أو الحرب، على افتراض أنها مسؤولة إلى حد بعيد عن إنتاج السلوك الإنساني في السياسة الخارجية أو السياسة المحلية.
3. افتراض أن هناك ترابطا بين المعطيات الجغرافية والمخرجات السياسية في تاريخ العلاقات الدولية، لارتباط القضايا الدولية بطبيعة الجغرافيا السياسية².

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص ص. 114 - 115.

2 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 313.

المضامين النظرية:

يتفق "ماكندر" مع الواقعيين الهجوميين بأن الحروب تحسمها القوة البرية وليست القطاعات الأخرى من القوى العسكرية، على افتراض أن مركز ثقل العلاقات الدولية موجود على اليابسة وليست على البحار والمحيطات بسبب انعدام أسباب الحياة فوق الماء، وأن قلب اليابسة موجود في المنطقة التي أسماها بـ: "أوراسيا"، جمعا بين القارتين الأوروبية والآسيوية، وذلك لاحتواء هذه المنطقة على معظم سكان العالم بحيث أنها تستحوذ على سبعة أثمان العالم، وبها تتركز معظم مصادر ثروته وموارده، بالإضافة إلى أن هذه المنطقة هي في تواصل جغرافي لا تفصلها مساحات كبيرة تبعدا عن بعضها البعض¹.

ويأتي بعد القلب الرئيسي السابق الذكر مركز ثانوي لقلب الأرض، وهو الذي يقع جنوب العالم المتمثل في القارة الإفريقية، التي تتشابه من الناحية الجغرافية مع قلب الأرض الشمالي الرئيسي من حيث تدفق الأنهار على سبيل المثال، إذ في القارة الإفريقية تتدفق الأنهار من قلب القارة كمثل نهر النيجر والكونغو والنيل² والزمبيزي والأورانج واللمبوبو وغيرها³، وكذلك الأمر بالنسبة للقلب الشمالي والذي توجد به أنهار مشهورة مثل نهر الدانوب والفرات ودجلة وغيرها، والرابطة التي تجمع "القلب الشمالي" بـ "القلب الجنوبي" هي المنطقة العربية بقسميها الآسيوي والإفريقي⁴، حيث تتصل المنطقتان عبر المنطقة العربية⁵ على مسافة تبلغ 800 ميل من النيل غربا إلى المناطق التي وراء نهر الفرات شرقا، وكذلك بمسافة تبلغ حوالي 1800 ميل تمتد من جبال طوروس في الشمال إلى خليج عدن في الجنوب⁶، غير أن المعاب هنا على "ماكندر" أنه قد حصر المنطقة العربية، حيث أنها في الحقيقة تمتد إلى أبعد من هذه الحدود التي وصفها⁷.

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 313.

2 - نفس المرجع، ص. 313.

3 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 115.

4 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 313 - 314.

4 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 115.

6 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 313 - 314.

7 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 115.

وقد أطلق "ماكندر" على الأراضي الساحلية إسم الهلال الداخلي، وأطلق "فيرجريف" على الهلال الداخلي إسم "منطقة الإرتطام" وتمتاز منطقة الهلال الداخلي بأن أنهارها تتصرف نحو البحار الصالحة للملاحة وتتكون من المناطق الساحلية والمنطقة العربية والصحراوية في الشرق الأوسط والمناطق موسمية في آسيا، أما الحلقة الخارجية فأطلق عليها "الهلال الخارجي" وتتكون من أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية وإفريقيا جنوب الصحراء وأستراليا، وليست هناك دولة تستحق الإشارة في نطاق الهلال الخارجي سوى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا واليابان¹.

ومن المفارقات المثيرة للاهتمام في نظرية "ماكندر" هي اعتقاده أن من يتحكم في أوروبا الشرقية، سوف يتمكن من الهيمنة على قلب الأرض، على افتراض أنها البوابة الرئيسية له، ويستطرد "ماكندر" في سلسلته النظرية بأن من يهيمن على قلب الأرض سوف يسيطر على منطقة العالم القديم (أوروبا) وبذلك يتحكم في العالم ككل، ولعله استنبط افتراضاته النظرية من محاولات "نابليون بونابرت" السيطرة على أوروبا في بداية القرن التاسع عشر، ثم محاولة "هتلر" في القرن العشرين، ثم التنافس الشديد بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي من أجل السيطرة على أوروبا خلال الحرب الباردة، ولازال إلى اليوم التنافس الشديد بين روسيا والولايات المتحدة حول السيطرة على أوروبا والشريط المحيط بها². (أنظر الخريطة رقم 02).

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص ص. 115 - 116.

2 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 314.

خريطة رقم 02: نظرية قلب العالم حسب ماكندر المعدلة عام 1919



المصدر: <http://www.almerja.com/reading.php?idm=35683>

وفي تعديله لنظريته عام 1943م أكد "ماكندر" أن التهديد للقلب يأتي من الإتحاد السوفياتي سابقا وليس من ألمانيا وأكد أيضا أن الموقف السياسي للقوى العالمية لا يعتمد فقط على الموقع الجغرافي للقلب وإنما أيضا على البناء الصناعي، كما استحدث مصطلح "الحوض الجغرافي للقلب" ومصطلح "الحوض الأوسط" شمال الأطلسي بين غرب أوروبا وشرق الولايات المتحدة الأمريكية، مؤكدا "ماكندر" بأنه لو خرج الإتحاد السوفياتي رابحا في الحرب العالمية الثانية سيصبحون أعظم قوة برية في العالم، وتجدر الإشارة هنا إلى أن "ماكندر" عام 1943م قد بين بأنه تقل الأهمية الجيوبوليتيكية للقلب من مجرد الإعتماد على الموقع والتلاحم الأرضي وسهولة الحركة للقوى القارية إلى الإعتماد على السكان وال عمران والموارد والخطوط الخلفية للحركة، وعليه قد وضع "ماكندر" تصوره من وجهة نظر الباحث الإنجليزي الذي يحاول أن يلفت نظر السلطة في بريطانيا إلى إمكانية ظهور قوة عالمية برية لا تستطيع القوة البحرية الإنجليزية الوصول إليها¹.

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص 116 - 117.

والملاحظ أن "ماكندر" لم يعط الولايات المتحدة الأمريكية أهمية خاصة عام 1904م، إلا أنه أعطاهما مثل هذه الأهمية بتعديله لعام 1943م ولعل من المفيد أن نشير إلى أن "ماكندر" قد تخوف من نشوء دولة في القلب فتمتكن من تكوين إمبراطورية عالمية وبذلك تصبح "جزيرة العالم" قاعدة برية وبحرية وجوية مهمة، يدين لها العالم بأسره بالولاء، وكان يرى أنه من الممكن ذلك لو أن ألمانيا إتحدت مع روسيا اتفاقا أم غزوا، كما إعتقد "ماكندر" أن سلاح الجو هو لصالح القوة البرية وذا أهمية أكثر من القوة البحرية، وأكد على أن استخدام الطرق البحرية لا يتم إلا من خلال إشراف القوة البرية، وقد أكد أيضا على أن عهد الدول البحرية قد انتهى وأن تاريخ العالم ليس إلا صراعا بين القوى البرية والقوى البحرية وأن السيادة ستكون للدول البرية¹.

أما بالنسبة لموقفه من القوة الجوية؛ فإنه يتفق مع الواقعيين الهجوميين من أنها عبارة عن قوة دعم للقوات البرية الزاحفة على الأرض، ولا تكون القوة البحرية فعالة في الحرب إلا عندما يكون هناك تنسيق كبير ووثيق مع القوات البرية، وبذلك تكون الأولوية للقوة البرية وباقي القطاعات العسكرية الأخرى حيث تقوم بدور الدعم وليس الحسم للحرب وتحقيق النصر².

قد واجهت النظرية عدة انتقادات منها إغفاله للأوصاف التقنية المتطورة، ففكرة عدم تركيزه على المحيط المتجمد الشمالي لم تعد قائمة بعد اكتشاف كاسحات الجليد والغواصات التي تسير تحت الغطاء الجليدي، كما أن اكتشاف الأسلحة المتطورة والصواريخ والأسلحة النووية بالذات ما يغير من منعه منطقة القلب، فحسب رأي بعض المفكرين ومنهم "مينج Mining" أن "ماكندر" لم يوفق حين حدد قلب الأرض والهلالين طبقا لمعيار الموقع بالنسبة لليابسة والماء، وأنه كان من الأجدر تحديده على أساس المعيار الحضاري لأنه أكثر ثباتا، وبالنسبة لـ "الريملاند" الهلال الأوسط فقد قسمه "مينج" إلى قسمين "الهلال الأوسط القاري" و"الهلال الأوسط البحري"، واعتمد الجانب الوظيفي أساسا للتمييز بينهما، وفي رأي "مينج" أن من يسيطر على قلب العالم يمكن أن يسيطر

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 116.

2 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 314.

على بعض دول الأطراف، بينما يرى "ماكندر" أن من يسيطر عليها كلها يمكنه السيطرة على العالم كله¹.

وهناك مسألة أخرى تضاف؛ وهي أن المركزية الشديدة التي تتسم بها سويداء الأرض ليست عاملا في صالحه لأنها تصبح عرضة للهجوم جوا وهذا يعني أن سلاح الطيران يقلل كثيرا من أهمية موقعها الجغرافي، ويرى "فيرجيف" أن اليابسة عبارة عن جزيرتين عظيمتين هما "جزيرة متوازية الأضلاع" تمثل العالم القديم وجزيرة أخرى عبارة عن "الأمريكيتين" وكناتهما تقعان في محيط عظيم، وينقسم "متوازي الأضلاع" إلى قسمين تفصلهما الصحراء أكثر مما يفصلهما البحر².

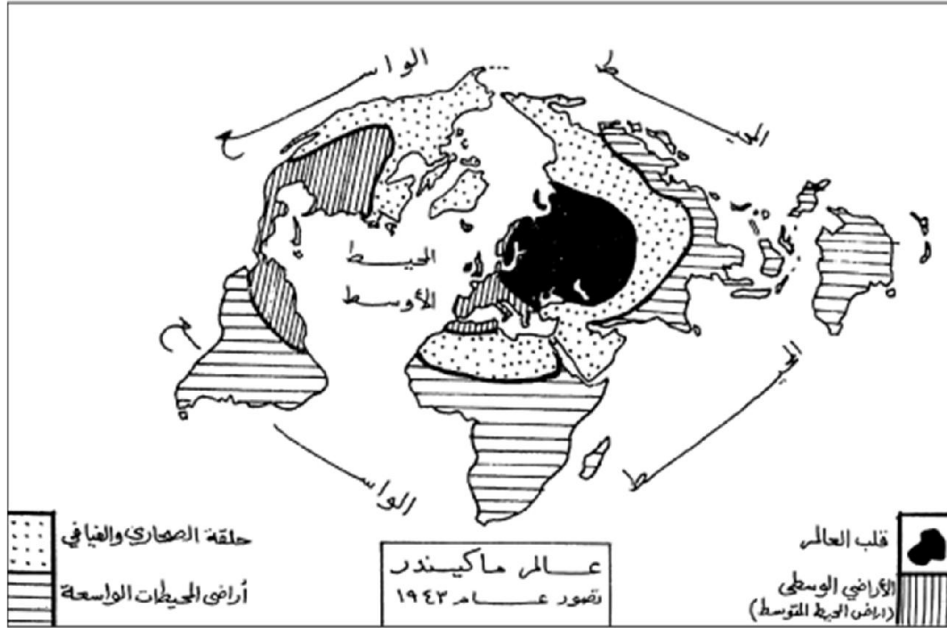
عموما فإن؛ مخططي الإستراتيجية في الغرب يقرون بأن "ماكندر" كان على حق في أفكاره فألمانيا لم تتمكن من السيطرة على المنطقة الحاجزة بين الجرمان والسلاف، وأصبحت الأراضي الممتدة من البحر البلطي إلى بلاد البلقان في دائرة النفوذ السوفياتي سابقا، الذي يسيطر على منطقة القلب، وقد أثرت آراء "ماكندر" في خطط السوق الإنجلوأمريكية فكل الأحلاف ابتداء من الحلف الأطلسي إلى حلف جنوب شرق آسيا ما هي إلا محاولات مخططة لتطويق منطقة القلب والسيطرة على الهلال الداخلي المحيط بها في حينه، حيث أن هناك أحداثا جديدة قد طرأت على دول العالم بعد سنوات الحرب العالمية الثانية تثير الشكوك حول آراء وصحة تطبيقها في عصرنا الحالي، ومن هذه الأحداث ما تشهده المنطقة العربية وما شهدته مناطق جنوب شرق آسيا وظهور الصين الشعبية قوة تحظى بمرتكزات طبيعية وبشرية تؤهلها أن تكون قوة عالمية في منطقة الهلال الداخلي، وتربع الولايات المتحدة الأمريكية على عرش السيادة العالمية كإمبراطورية وحيدة بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي وحلفاؤه عام 1989م أصبح بذلك العالم أحادي القطب³. (أنظر الخريطة رقم 03).

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص ص. 117 - 118.

2 - نفس المرجع، ص. 118.

3 - نفس المرجع، ص. 118.

خريطة رقم 03: نظرية "ماكندر" عام 1943



المصدر: <https://www.hindawi.org/books/81426250/1.4/>

2. نظرية إطار الأرض:

منظر هذه النظرية هو "نيكولاس جون سبيكمان Nicholas John Spykman" أحد الرواد الأوائل للنظرية الواقعية وأحد منظري العلاقات الدولية، والذي ركز في أبحاثه على العلاقة بين الجغرافيا والسياسة الدولية، والاهتمام بالجغرافيا السياسية كحقل حيوي في تفسير العلاقات الدولية وطرق تفاعل الأطراف الدولية ضمن النظام الدولي¹.

اقترح "سبيكمان" فكرة "الإطار القاري" (Rimland/ أو إطار الحافة)، والذي يضم من وجهة نظره أكثرية سكان العالم فهو يشمل كل من قارة أوروبا - ماعدا روسيا - وآسيا الصغرى والجزيرة العربية وإيران وأفغانستان وجنوب شرق آسيا وجزء كبير من الصين وكوريا وشرق سيبيريا، حيث يتوصل "سبيكمان" بعد هذا التحديد الجغرافي للمنطقة الأكثر حيوية في العالم إلى الإدعاء بأن من يتحكم في الإطار القاري يستطيع أن يسيطر على منطقة أوراسيا، ومنها السيطرة على العالم ككل، وهذا يعني أن التفاعلات الأكثر حيوية يجب أن تشمل منطقة الإطار القاري، سواء تعلق

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص ص. 314 - 315.

الأمر في بناء الأحلاف العسكرية أو نشر حزام من القواعد أو البحث عن أصدقاء في هذه المنطقة¹.

أما بالنسبة لتقسيمه الجغرافي للعالم ككل فهو مصمم بشكل عمودي للكرة الأرضية عبر المحيط الأطلسي بحيث يتضمن فئتين كبيرتين من المناطق الجغرافية هما:

1 - تتمثل الفئة الأولى في القسم الشرقي من الكرة الأرضية والذي يضم كلا من قارة أوروبا وآسيا وإفريقيا وأستراليا، وهو القسم الأكبر من يابسة الكرة الأرضية.

2 - أما الفئة الثانية فتتمثل في القسم الغربي من الكرة الأرضية من الكرة الأرضية والذي يضم القارة الأمريكية بشطريها الشمالي والجنوبي، والقسم الأصغر من يابسة الكرة الأرضية².

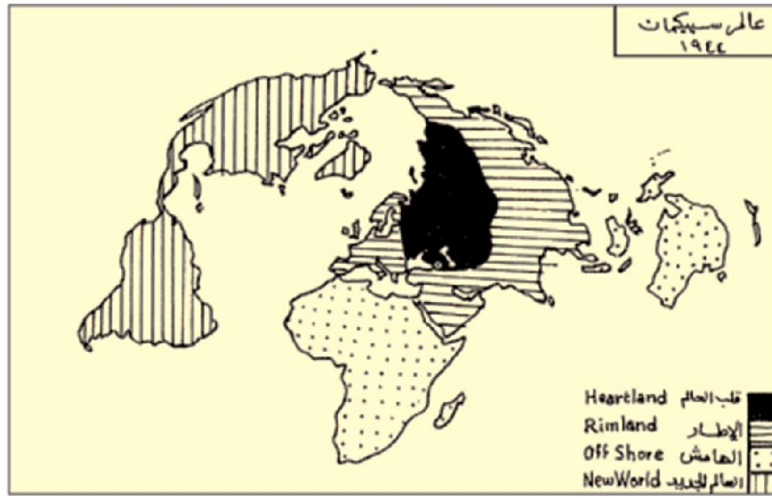
يعتبر القسم الشرقي الأهم في تقسيم "سبيكمان" لأن مساحته تطوق نظيره الغربي وذلك لأنه يحتوي على مساحة تمثل مرتين ونصف بقدر مساحة القسم الغربي، ويتمثل في الكثافة السكانية تقريبا عشرة أمثال سكان الأمريكيتين، بالإضافة إلى احتواءه على كميات هائلة من الموارد الطبيعية مثل النفط والحديد والفحم، ولتمثل هذه المعطيات الجغرافية دلالات إستراتيجية بالنسبة لـ "سبيكمان" بحيث أن أي قوى عظمى يجب أن يكون لديها وجود عسكري في هذه المناطق أو على الأقل بناء قواعد عسكرية في الجزر الموجودة في منطقة أوراسيا حتى تستطيع البقاء ضمن ميزان القوى العالمي³. (أنظر الخريطة رقم 04).

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 315.

2 - نفس المرجع، ص. 315.

3 - نفس المرجع، ص. 316.

خريطة رقم 04: نظرية إطار الأرض لـ "سبيكمان"



المصدر: <https://www.hindawi.org/books/81426250/1.4/>

3. مبررات أولية للقوة البرية:

للقوة أشكال متعددة لا تخرج في جوهرها من القوة العسكرية التي تملكها الدول من أجل تحقيق توازن القوى أو السيطرة عليه، وتعتبر أكثر الدول امتلاكاً للقوة العظمى هي القوى العظمى التي عادة تمتلك أربع أنواع من القوة العسكرية وهي: القوة البحرية والقوة الجوية الإستراتيجية والقوة البرية والأسلحة النووية كقوة خاصة ببعض الدول القليلة في النظام الدولي¹.

فمن منظور "جون ميرشيمر" وعلى عكس أنصار نظرية أولوية القوة الجوية على وجه الخصوص، يرى أن القوة البرية هي الشكل المسيطر على قطاعات الجيش الأخرى في الجيوش الحديثة، وأن القطاعات العسكرية الأخرى في حقيقة الأمر تتحدد مهمتها في القيام بدور الدعم للقوات البرية، ومن ثم تضطلع بالدور الثانوي، وبناءً على ذلك؛ فإن مصطلح "الدول القوة" يطلق عادة على الدول التي تمتلك قوات برية قوية وأكثر تنظيماً وتدريباً، حيث تصبح عندئذ مؤشراً مهماً وبارزاً في حساب أو قياس ميزان القوى الإقليمي أو العالمي، وقد يكون "جون ميرشيمر" محقاً على اعتبار أنه بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، وبالرغم من الاحتكار الأمريكي للسلاح

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 316.

الذري إلا أنه قد اعتُبر الاتحاد السوفياتي تهديدا إستراتيجيا له بسبب أنه كان يملك أقوى قوة برية في العالم¹.

غير أن التحدي الرئيسي الذي يواجه القوات البرية هو وجود المساحات المائية الواسعة والطويلة التي تعوق تقدم القوات البرية أو تحد من قدراتها الهجومية مثل المحيط الأطلسي، فالإقرار بذلك يعني أن الحجج التي يقدمها أنصار نظرية القوة الجوية محقة عندما يدعون بأن بإمكان القوة الجوية تذليل أبعاد الجغرافيا بسبب التطورات التكنولوجية التي طرأت على الطائرة وأدواتها الإضافية، لذلك يُقر "جون ميرشيمر" بالجدال الحاد بين المفكرين الإستراتيجيين لفترة طويلة من الزمن حول أيُّ أكثر القطاعات العسكرية حسما للحرب وكسبا لنتيجتها أو التحكم في مخرجاتها النهائية، وقد استشهد بموقف الأدميرال الأمريكي "ألفرد تاير ماهان Alfred Thayer Mahan" المؤيد لأهمية تفوق القوة البحرية المستقلة في حسم الحرب وكسب نتيجتها، كما جاء في كتابه "تأثير القوة البحرية على التاريخ The Influence of Sea Power Upon History"، وفي مقابل ذلك نجد الجنرال الإيطالي "جوليو دوهات Giulio Douhet" لاحقا قد أعطى الأولوية للقوة الجوية الإستراتيجية في كتابه "السيطرة على الجو The Command of the Air" الذي نشر عام 1921، وفقا لما سبق الإشارة له، ومع الإقرار بهذا الجدل الإستراتيجي إلا أنه ينتصر لرأيه المبدئي وهو أن القوة البرية هي الأداة العسكرية الحاسمة في الحرب، على افتراض أن الحروب تكسب بواسطة الوحدات القتالية الكبيرة، وليس بواسطة الأساطيل في الجو أو في البحر، ومن ثم فالقوة الأعظم في الميزان الإستراتيجي العالمي هي الدولة التي يملك جيشها قوات برية قوية بمعدات قتالية متطورة².

لقد طرح - من الناحية الإستراتيجية - متغير السلاح النووي تحديا جديا أمام أنصار أولوية القوة البرية بعد حادثة "هيروشيما وناغازاكي في شهر أوت 1945، التي أدى فيها استخدام السلاح الذري إلى حسم الحرب وكسب التفوق فيها على الخصم وإجباره على توقيع ميثاق الاستسلام، غير أن أنصار القوة البرية يجادل ذلك بأنه - من الناحية الواقعية - على الرغم من

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 316.

2 - نفس المرجع، ص. 316.

تسلح القوى العظمى بالسلح النووي، إلا أنها استمرت في تطوير قدراتها البرية وتدريبها وتحسين أدائها لعشرات السنوات، يضاف إلى ذلك توفر احتمال عالي الإمكانية بعدم وقوع صدام مسلح نووي مفتوح بين القوى العظمى، ولذلك يلاحظ أنه مازالت القوى العظمى تتنافس من أجل الأمن حتى تحت المظلة النووية، وفي بعض الأحيان بشكل شديد، وتبقى الحرب بينها ممكنة، فمثلا الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي سابقا قد تنافسا أمنيا على مدى 45 سنة خلال الحرب الباردة، بالرغم من وجود الأسلحة النووية لدى كلا الجانبين، وقد كان التنافس المركزي بينهما حول نشر القوات البرية عبر العالم¹.

كما يكمن المبرر الآخر المقدم من قبل أنصار القوة البرية في التدليل على مصداقية وصحة نظريتهم، هو أن أنماط التحالف المشكلة خلال الحرب الباردة دليل على أن القوة البرية مكوّن أساسي للقدرات العسكرية، من خلال الانتشار الكثيف لقوات "حلف وارسو" و"الحلف الأطلسي" في أوروبا، كما يعتقد كذلك "جون ميرشيمر" أنه خلال الحرب الباردة لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية أغنى من الإتحاد السوفياتي فقط، ولكن كذلك تتمتع بامتياز مهم في القوات البحرية والقاصفات الإستراتيجية والرؤوس النووية، ومع ذلك اعتبرت فرنسا وألمانيا الغربية وإيطاليا واليابان والمملكة المتحدة ولاحقا الصين؛ الإتحاد السوفياتي الدولة الأقوى في النظام الدولي وليس الولايات المتحدة الأمريكية بسبب توفره على قوات برية قوية، وهو سبب تحالف هذه الدول - باستثناء الصين - مع الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإتحاد السوفياتي آنذاك على أساس تخوفها من الجيش السوفياتي وليس الجيش الأمريكي².

4. المهام المختلفة للقوات البرية: امتيازات السيطرة

الفكرة الأساسية لأنصار نظرية أولوية القوة البرية هي أن الأولوية في الجيوش الحديثة والقديمة هي للقوات البرية، وهي التي تشكل القسم الأكبر منها، وتبقى القوات البحرية والجوية تقوم بالدور الداعم بحيث تقوم على سبيل المثال بالنقل والتموين وحماية الخطوط الخلفية أو تأمين التقدم على الجبهة أو توفير الغطاء الجوي عبر القوة النارية للقوات المتحركة على الأرض، وفي

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 317.

2 - نفس المرجع، ص. 317.

كل هذه المعطيات تضطلع القوة البرية بالدور المهيمن في حين تقوم القوات الأخرى بالدور الثانوي ولا تتصرف بشكل مستقل عنها، لذلك يتم القيام بهذه المهام تحت قيادة القوة البرية¹. إن العاملان الأساسيان اللذان يُبرزان أولوية القوات البرية على غيرها هما الإخضاع والسيطرة الإقليمية للجيش، واللذان بدورهما يعتبران وظيفتين أساسيتين وفي نفس الوقت هدفان أساسيان مُهمان للدول، على افتراض أن الناس عادة يعيشون على الأرض وليس على المياه أو في الجو، وبالتالي فإن إحكام السيطرة على الإقليم هو الحاسم في الحرب والمربح لها، وهو وظيفة القوات البرية وليس غيرها من وجهة نظر أنصار هذه النظرية، فالخاصية المثيرة للاهتمام في القوات البرية هي إمكانية القيام بالوظائف المتعددة على الأرض، إذ أن بإمكانها القيام بتنظيم الحياة الاجتماعية للمناطق المهزومة وتصريف المُؤن للسكان وتقديم المساعدات الطبية وتأمين إعادة بعث حركة الحياة إلى المدن المسيطر عليها وإصلاح المنشآت وإطلاق مصالح الخدمات (التعليم، والصحة، والمعامل) بالإضافة إلى وظائفها الأساسية، فمثل هذه الوظائف غير متاحة لقطاعات الجيش الأخرى².

ما يركز عليه كثيرا أنصار هذه النظرية هو أن القوى العظمى لا يمكنها كسب الحرب عن طريق القوة البحرية أو الجوية، وإنما فقط القوة البرية لها احتمال كسب الحرب الكبرى بواسطة قدرتها الذاتية، والسبب الرئيسي في ذلك هو أنه من الصعب إجبار قوة عظمى ما على الخضوع عبر تدمير اقتصادها فقط من خلال الحصار والقصف، وأن القادة وكذا الشعوب في الدول الحديثة نادرا ما يرغبون في الاستسلام حتى بعد الحجم الهائل من العقاب، على الرغم من أن الحصار البحري والقصف الإستراتيجي يمكن أن يساعد الجيوش في كسب النصر عبر الإضرار بالإقتصاد المدعم للآلة العسكرية للعدو، إلا أنه لا يمكن إخضاع العدو وإجباره على الاستسلام ما لم تدمر قواته البرية بشكل كلي أو معظمها، وأكثر الأمثلة تجسيدا لذلك ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، ومن هذا المنظور فإن القصف الجوي أو الحصار البحري يتوفر على إمكانية

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 318.

2 - نفس المرجع، ص. 318.

إيجاد بعض الوقت لقوات العدو لتلتقط الأنفاس وتعيد التفكير في الإستراتيجيات المضادة، في حين عندما تزحف القوات البرية على الأرض فإن هذا الخيار غير متاح¹.

المحور الثاني: فضاء القوة البحرية

يعتبر فضاء القوة البحرية البعد الثاني من فضاءات القوة في الدراسات الإستراتيجية والعسكرية وكأحد عناصر قوة الدولة، حيث يرى المنظرين الإستراتيجيين بأولوية قوى البحر في السيطرة والغلبة على باقي الفضاءات الأخرى، وبأن تفوق قوى البحر هي من تهيمن على العالم وتسيطر عليه، وعلى إثر ذلك سيتم في هذا المحور التطرق إلى فضاء القوة البحرية بالتفصيل.

1. أرضية عامة للتحليل:

عند مستهل الحديث عن القوة البحرية لا بد من التمييز بين القوة البحرية والقدرة البحرية، فالقوة البحرية تعني القوة المقاتلة والمسلحة بالأسلحة البحرية الرئيسية التي بمقدورها إنجاز العمليات المستقلة أو المشتركة التي تساهم بها أصناف أخرى من القوات المسلحة كالقوات الجوية والدفاع الجوي والقوات البرية، أما القدرة فتعني القوات البحرية مضافاً إليها جميع السفن التجارية وتسهيلات البحرية كالموانئ البحرية ومنشآتها الأخرى².

أحد أنصار نظرية أولوية القوة البحرية في حسم الحرب وتحقيق النصر هو الأدميرال "ألفرد ثابر ماهان Alfred T. Mahan (1840 - 1914)"، وهو قائد بحري أمريكي الأصل كانت أعماله العلمية بارزة في التنظير لاستراتيجية الحرب البحرية، ومؤسساً لنظرية أولوية القوة البحرية في كسب مخرجات الحرب وإنهائها³، حيث ظهر كل ذلك من خلال الكتب التي ألفها حول الاستراتيجية البحرية والتي منها:

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 318 - 319.

2 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 119.

3 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 249.

1 - كتابه: "تأثير القوة البحرية على التاريخ The Influence of Sea Power, Upon History" الذي نشر عام 1890، ونستطيع القول أن هذا الكتاب هو الذي حمل شهرته في الوسط الإستراتيجي والنظريات الحربية.

2 - وكتاب: "تأثير القوة البحرية على الثورة الفرنسية The Influence of Sea Power, Upon French Revoution" الذي نشر عام 1892، والذي ركز فيه على دراسة وتحليل دور القوة البحرية في تطور وتوسيع الإمبراطورية الفرنسية النابوليونية.

3 - وكتاب: "حياة نلسون The Life of Nelson" والذي نشر عام 1897 وركز فيه على دراسة القادة العسكريين البريطانيين الكبار، بمعنى أنه كتاب متعلق بالتراجم للقادة العسكريين وسيرهم الذاتية.

4 - وكتاب: "الإدارة البحرية والحرب: بعض المبادئ العامة Navel Administration and Warfare some General Principles"، الذي تناول فيه على وجه الخصوص مفردات التحليل في نظرية القوة البحرية.

5 - وكتاب: "الإهتمام الأمريكي بالقوة البحرية: في الحاضر والمستقبل The Interest of American in Sea Power, Present and Future"، الذي تناول فيه الأطروحات الأمريكية الإستراتيجية حول دور القوة البحرية في حماية الأمن القومي الأمريكي¹.

6 - وكتاب: "دروس من الحرب مع إسبانيا Lessons of The War With Spain"، الذي حاول فيه بيان أهمية القوة البحرية في حسم الحرب وتحقيق الأهداف الأساسية، وذلك من خلال الحرب التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية مع الإمبراطورية الإسبانية في أمريكا اللاتينية.

كما لديه العديد من المقالات في مختلف الصحف والمجلات الدورية الأمريكية والعالمية مجتهدا في بناء نظرية القوة البحرية ومبرراً لدورها في الحروب بين الدول، وفي نفس الوقت دأب من خلال هذه الأعمال العلمية على شرح وتفسير التاريخ البحري ومكونات الإستراتيجية البحرية،

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 249.

ومن خلال كل ذلك يعتبر "ألفرد ماهان" من أكبر المنظرين لنظرية القوة البحرية في حقل المعرفة الإستراتيجية والعسكرية¹.

لا شك في أن السبب الرئيسي وراء بروز دور القوة البحرية في العلاقات الدولية هو الإكتشافات الجديدة للعالم الجديد في القرن الخامس عشر، وما قامت به من دور في نقل البضائع والعمال والجيوش والمؤن والثروة من وإلى العالم الجديد، بالإضافة إلى الإكتشافات الجديدة التي أدت في نهاية المطاف إلى ظهور إمبراطوريات جديدة مثل الإمبراطورية البريطانية والبرتغالية والإسبانية، وبناء نظام تجاري عالمي أساسه القوة البحرية التي كانت تمتلكها هذه الإمبراطوريات، وقد اصطلح علماء الاقتصاد السياسي على تسمية هذه المرحلة من تاريخ العلاقات الدولية بالمرحلة "المركنتيلية" أو "التجارية"، وغالبا مع يعزو محللو العلاقات الدولية إلى بريطانيا الدور الحيوي في إبراز الأبعاد الإستراتيجية للقوة البحرية، من جهة؛ بسبب الطبيعة الجغرافية الجزرية لإقليمها، ومن جهة ثانية؛ بسبب نظام الإتصال الإمبراطوري الذي بنته عبر مستعمراتها منذ مطلع القرن التاسع عشر، القائم أساسا على فعالية القوة البحرية في النقل والمراقبة والسيطرة في أعالي البحار والممرات البحرية الحيوية (مضيق جبل طارق مثلا)².

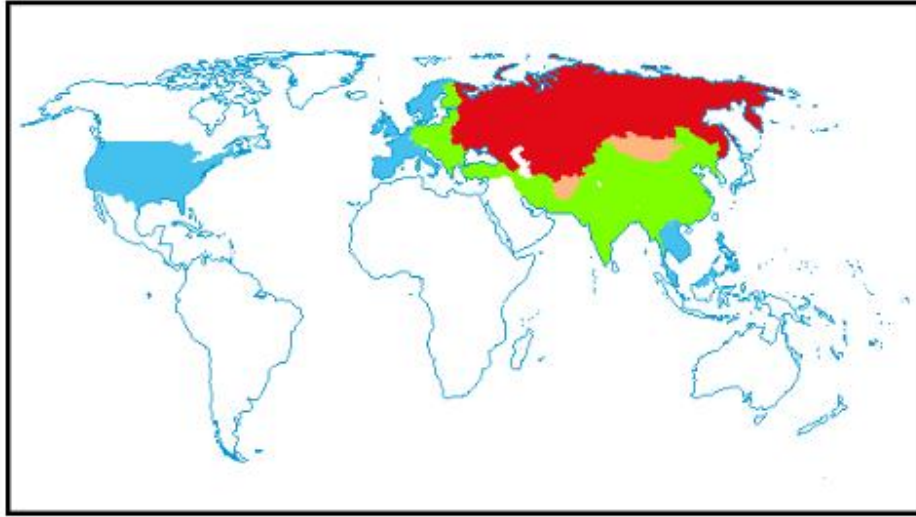
حينما كتب "ألفرد ماهان" عن القوة البحرية فإنه؛ يعني القوة العسكرية التي يمكن نقلها بالبحر إلى المكان المطلوب دون أن يعني مجرد الأسطول البحري، ومن ثم فإن التحكم في البحار يعني لديه التحكم في القواعد البرية والتي تمتاز بالمواقع الإستراتيجية المتحكمة في النقل البحري والقواعد البحرية التي تحميها أشكال السواحل من جهة وعمق خلفيتها الأرضية من جهة أخرى، ويرى أن الثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا بين (1760 - 1830) دفعت الدول الأوروبية إلى الإستعمار السياسي وتكوين مستعمرات لها فيما وراء البحار لتصريف فائض إنتاجها من السلع المصنوعة وللحصول على المواد الخام المتنوعة لمصانعها ولتوفير المواد الغذائية لسكانها الذين تزايدت أعدادهم، واستدعى هذا إنشاء الأساطيل التجارية الضخمة لنقل التجارة والركاب بين الشرق والغرب، وتطور الملاحة البحرية نتيجة لإحلال الحديد محل الخشب في

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 250.

2 - نفس المرجع، ص. 250.

صناعة السفن واستخدام البخار في تسييرها بدلا من الأشرعة، وقد عملت دول أوروبا إلى إنشاء الأساطيل الحربية لحراسة السفن التجارية من القرصنة والعدوان¹.

خريطة رقم 05: نظرية القوة البحرية لـ "ألفرد ماهان"



المصدر: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria6/OsosAmnWat/map02.GIF_cvt.htm

وقد أصبحت البحار والمحيطات شرايين تصل بين المستعمرات وبين الدول الأوروبية صاحبة السيادة عليها، وأخذت أهمية الطرق البحرية تتزايد، وهو ما جعل بعض الدول الأوروبية ترى ضرورة السيطرة على بعض مواقع الأسواق الإستراتيجية على طول الطرق البحرية لحراستها، ورأى "ألفرد ماهان" أن إنجلترا لها اليد الطولى في كل ذلك نظرا لموقعها الجزري المنعزل مما يجعلها بعيدة المنال على القوى الأوروبية المختلفة الموجودة على اليابس الأوروبي، وإن موقع

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 120.

بريطانيا الجغرافي يمكنها من السيطرة على خطوط الملاحة من وإلى شمال أوروبا، وقد أصبح لها أسطولا حربيا ضخما يتعذر على الدول الأوروبية القارية أن تنشئ مثله، وهذا يعني أنه بإمكانها حصار موانئ القارة الأوروبية وقت الضرورة والدفاع عن الجزر البريطانية، وفي الوقت ذاته لم يكن بمقدور أية دولة أوروبية إعداد جيش بحري للدفاع عن أراضيها بسبب موقعها البري، ويشير "ألفرد ماهان" إلى أن قيام قوة بحرية في أية دولة يتطلب قيام وتوفر بعض العوامل والتي حددها في ما يلي¹:

1 - الموقع الجغرافي للدولة:

ويعني به موقعها البحري فيما إذا كانت تقع على بحر واحد (أحادية الموقع) أو على بحرين أو أكثر، كما يؤخذ بنظر الاعتبار صلاحية هذه البحار للعمليات الملاحية وسهولة اتصالها ببعضها وبأعالي المحيطات، ويشترط على الموقع البحري؛ أن تمكن الدولة من السيطرة على الطرق التجارية الهامة والتحكم في مواقع وقواعد الأسواق حتى يستطيع التصدي لعدو منتظر قد يهدد نطاقها الإقليمي، فالنشاط العسكري لأية دولة بحرية مثلا يرتبط إرتباطا وثيقا بنوع البحر الذي تقع عليه الدولة فيما إذا كان مفتوحا أم مغلقا، فالبلدان الواقعة على سواحل بحر بلطيق تتأثر من الناحيتين التجارية والعسكرية، إذا ما سيطرت دولة أجنبية على مداخل هذا البحر، وقد دلت أحداث الحرب العالمية الثانية على ذلك حينما سيطرت القوات الألمانية على بحر الشمال مما أدى إلى فرض نفوذها على بحر البلطيق وضياع سيادة دول على هذا البحر، لذا أصبح موقع السويد والدنمارك يعد أفضل المواقع².

2 - طبيعة سواحل الدولة:

في هذا الجانب لا يؤخذ طول السواحل بعين الاعتبار وإنما من حيث ميوعيته وصلاحيته لإنشاء الموانئ، فكلما كان الساحل متعرجا تكثر فيه الخلجان العميقة، أصبح جاذبا لسكان ظهيره ومشجعا لهم لركوب البحر والاتصال ببقية أقطار العالم، فالإتحاد السوفياتي سابقا مثلا يمتلك سواحل طويلة ولكن معظمها غير صالح لنشاط بحري، وبالنسبة لسواحل النرويج والتي تكثر فيها

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 121.

2 - نفس المرجع، ص. 122.

الأودية العميقة المحمية الممتدة على مسافات طويلة إلى قلب الدولة، قد ساعدت صلاحيتها للملاحة والافتقار إلى اليابسة على تطور نشاط بحري واسع جلب لها مؤثرات حضارية من مناطق بعيدة، وقد عد "ألفرد ماهان" كثرة الموانئ في سواحل الدولة مصدر قوة وغنى، وقد ميز بين نوعين منهما:

أ. الساحل الذي أدت حركات الرفع في قشرة الأرض إلى ظهوره، وهذا يكون عادة مستقيما خاليا من التعاريج الأساسية ومن رواسب هشة، وهذا النوع من الساحل لا يصلح لنشاط ملاحى مثل ساحل المكسيك ودلتا النيل.

ب. الساحل الهابط والذي أدت حركات تكتونية إلى هبوطه، وأبرز ما يميزه هو كثرة الخلجان العميقة، وهناك أصناف من هذه الخلجان وهي كلها صالحة للنشاطات الملاحية ولا تعيق تطور حركة الملاحة¹.

3 - صفات ظهير الساحل:

يقصد بها أراضي الدولة التي تقع خلف خط الساحل، فإذا كانت هذه الأراضي ذات مساحة كبيرة وتتمتع بثروات طبيعية وفيرة تكفي لسد حاجة مجموع سكان الوحدة السياسية، فهي تصبح عامل جذب للسكان نحو الداخل وبذلك يكون التوجه الجغرافى للدولة داخليا عبر اليابسة وليس نحو البحر حتى وإن كان موقعها بحريا وتطل على سواحل طويلة، ومن أمثلة ذلك فرنسا فهي تقع على ثلاثة بحار المتوسط والأطلسي، والبحر شمال ولكن مع ذلك فهي ليست دولة بحرية - ولا قوة بحرية - وذلك لأن خبراتها الداخلية قد جذبت السكان إلى الإشتغال في البر وعدم اللجوء إلى البحر كسبا لمعيشتهم، وفي حالة فقر الظهير بالموارد نوعا ما فإنها تعمل على طرد السكان وتوجيههم نحو البحر للحصول على غذائهم وكسب معيشتهم اليومية، ومن هذه الدول مثلا إيطاليا واليونان أين تحدد فعاليات الدولة ونشاطها من ناحية السكان².

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص ص. 122 - 123.

2 - مرجع سابق، ص. 123.

4 - مساحة الدولة وعدد سكانها:

من بين المحفزات الرئيسية لبناء القوة البحرية سعة المساحة وكثرة السكان، إذ يرى "ألفرد ماهان" أن لهذين العنصرين إمكانية تنوع الموارد الطبيعية داخل المساحة الكبيرة للدولة، وكذلك قدرة القوى البشرية المتمثلة بعدد السكان في بناء الأساطيل البحرية الكبيرة للدولة، وكذلك قدرة القوى البشرية المتمثلة بعدد السكان في بناء الأساطيل البحرية وفي استعمالها وصيانتها، كما أن المساحة الكبيرة ووقوع الدولة على أكثر من بحر واحد يزيد من احتمالات تواجد السواحل الطويلة والصالحة للملاحة¹.

5 - الخصائص القومية للسكان:

إن الشروط المهمة التي يراها "ألفرد ماهان" ضرورة لبناء أية قوة بحرية هي معرفة رغبة السكان وميولهم لركوب البحر، إذ أن هذا الشرط يعد حجر الزاوية في إقامة صرح التجارة البحرية الكفيلة بتجميع الثروات الضرورية لبناء القوة البحرية².

6 - توجه السلطة الحاكمة:

تعتمد رغبة السلطة الحاكمة في التوجه نحو البحر لخلق قوة بحرية، وعلى توفير كافة الظروف الطبيعية ودرجة ملائمتها وتفاعل ذلك مع الخصائص الاجتماعية التي يمتاز بها سكان تلك الدولة، وقد انطلق "ألفرد ماهان" في نظريته من الخصائص الجغرافية للولايات المتحدة الأمريكية حيث جاءت مطابقة للمعايير التي وضعها أساسا لبناء القوة البحرية، وكأنه أراد خدمة المصالح الأمريكية بالدعوة إلى التوسع خارج حدود نطاقها الإقليمي، واشترط لهذا التوسع بناء قوة بحرية مؤلفة من عدة أساطيل كبيرة حتى يكون بإمكان الولايات المتحدة الأمريكية ضمان الدفاع القومي ضد أي حصار بحري يوجه ضدها بصفتها جزيرة قارية، وكان يرى ضرورة إحتلال الولايات المتحدة الأمريكية لجزر "هاواي" لأنها تمثل قاعدة عسكرية أمامية يمكنها استخدامها لصد أي هجوم يأتي من القارة الآسيوية كما أكد على ضرورة فتح قناة بين الأمريكيتين تصل المحيط الهادي بالمحيط الأطلسي، كما نبّه أنه لا يمكن المحافظة على سلامة هذه القناة دون

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 124.

2 - نفس المرجع، ص. 124.

أن يكون للولايات المتحدة الهيمنة التامة على البحر الكرايبي، وفي القسم الشرقي من المحيط الهادي، وقد تحقق فعلا ما ذهب إليه "ألفرد ماهان" من قبل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية "روزفلت"، ومن المظاهر الأخرى للتوسع الإقليمي الذي نادى بها "ماهان" بعد أن استولت الولايات المتحدة الأمريكية على جزيرة "بورتوريكو" عام 1898م إثر حربها مع إسبانيا، وإيجار منطقة "جوانتانامو" جنوب شرق كوبا عام 1903م لمدة 90 عاما، وفي عام 1977م إشترت من الدنمارك جزر "فرجين"، واستولت على جزيرة "نافاسا" إلى الجنوب من كوبا واستأجرت من جمهورية نيكاراغوا جزيرتي "كورن الكبرى والصغرى"، وعليه فإن جميع هذه المواقع كان الغرض منها حماية موقع قناة "بنما"، أما في ما يخص نطاق المحيط الهادي فقد استولت على "Midway" عام 1851 واشترت "الاسكا" من روسيا عام 1867م، وضمّت إليها جزر "هاواي" عام 1898م بقرار من الكونغرس، وبذلك ضت لها مفتاح الدفاع عن القطاع الشرقي لهذا المحيط¹.

ووفقا لأفكار "ألفرد ماهان" حول مضمون القوة البحرية في التحليل الإستراتيجي للعلاقات الدولية، فإنه يمكن تقسيم هذه الافتراضات إلى ثلاثة نماذج أساسية والتي هي بمثابة مستويات للتحليل وهي: الافتراضات المكانية والافتراضات الاقتصادية والافتراضات السياسية²:

1 - الافتراضات المكانية:

تتعلق هذه الفئة من الافتراضات - من خلال تسميتها - بالجوانب الجغرافية للوحدات السياسية في النظام، بما تمثله من امتيازات جيو - إستراتيجية تفوقية على الخصوم أو مقابل ذلك ثغرات إستراتيجية في الأمن القومي، ويمكن تحديد هذه الجوانب الجغرافية في طبيعة الموقع الجغرافي للدولة وطبيعة سواحلها البحرية من امتداد أو تقلص أو جغرافية مغلقة على البحر، وأخيرا طبيعة الموارد من حيث وفرتها أو ندرتها³.

ولقد لخص "ألفرد ماهان" الخاصيات المتعلقة بالموقع الجغرافي للدولة في ثلاثة عناصر

رئيسية هي:

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 124 - 125.
2 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 250.
3 - نفس المرجع، ص. 251.

أ - أهمية موقع الدولة الجغرافي في مركز تفاعل العلاقات الدولية، من حيث تلك التي تقع في القلب والتي تقع في المحيط أو على الأطراف، خاصة فيما يتعلق بخطوط التجارة ووجود المعابر الدولية الحيوية وبالتالي تمركز النشاط الإقتصادي والتجاري، وهي الفكرة التي أخذ بها أيضا أنصار نظرية التبعية في تحليل العلاقات الدولية.

ب - أهمية المرونة التي يتوفر عليها موقع الدولة بأن يربط مثلا بين قارتين أو ثلاث أو يكون له حدود كثيرة مع أطراف مهمة تجاريا وسياسيا وعسكريا، في مقابل الدول البعيدة والمنعزلة، وكذلك وجود حدود مشتركة مع دول ضعيفة لا تشكل تهديدا (الولايات المتحدة الأمريكية مع دول أمريكا اللاتينية)، أو وجود دول مجاورة قوية تشكل باستمرار تهديدا عسكريا مثل الحالة الفرنسية الألمانية منذ نهاية القرن التاسع عشر، وكذلك الحالة الروسية مع أوروبا، و"إسرائيل" مع الدول العربية.

ج - وأخيرا، أهمية الموقع الجغرافي في توفير امتيازات الدفاع والهجوم في نفس الوقت ضد الخصوم، كتلك الدول التي تفصلها عن الخصوم الخطيرين حواجز مائية أو جبلية أو مساحات جليدية واسعة، مثل أهمية وجود مساحات جليدية واسعة بين القوى العظمى - في أوروبا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين - وروسيا، وكذلك أهمية وجود المياه العازلة للجزر البريطانية عن تهديدات القوى الأوروبية المعادية خلال نفس الفترة من تاريخ العلاقات الدولية الأوروبية¹.

عند صياغة هذه العناصر الثلاثة الخاصة بالموقع الجغرافي للدولة، يضع "ألفرد ماهان" أمامه نموذج بريطانيا العظمى - وتبعه بعد ذلك الكثير من المحللين للعلاقات الدولية الإستراتيجية - التي أكسبتها الجغرافيا امتيازات إستراتيجية دفعتها إلى تطوير وبناء قوتها البحرية ومن ثم السيطرة لاحقا على الخطوط الرئيسية للتجارة العالمية خاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والخطوط التي تربط العالم القديم بالعالم الجديد عبر المحيط الأطلسي وتلك التي تربط بريطانيا العظمى بمستعمراتها في جنوب آسيا حيث شبه القارة الهندية عبر البحر الأبيض المتوسط وبحر العرب، وإذا دققنا في العناصر الثلاثة المتعلقة بافتراض أهمية الموقع الجغرافي في القوة

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 251.

البحرية، نجدها كلها مستوحاة من طبيعة الجزر البريطانية العائمة في المحيط الأطلسي، والحقيقة أنه يمكن إسقاط هذه الأفكار أيضا على حالات أخرى في تاريخ العلاقات الدولية مثل الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، ولقد أدى تطور القوة البحرية والسيطرة على خطوط التجارة العالمية إلى ظهور المدن البريطانية الاقتصادية الكبرى وتطوير مرافئ التجارة عبر العالم في آسيا وإفريقيا وأمريكا الشمالية، وظهرت الشركات التجارية العملاقة التي هي بمثابة الوجه الآخر للسيطرة والهيمنة العسكرية والإستراتيجية الخاصة بالإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس مثل شركة الهند الشرقية¹.

ومن الناحية الجيو- إستراتيجية؛ تشكل العوازل الطبيعية أو المائية إمتيازات إستثنائية للقوة البحرية في الدفاع وحماية الإقليم عن التهديدات الخارجية، غير أنه يمكن أن تعمل العوازل الطبيعية بالاتجاه السلبي وهو فرض العزلة الطبيعية عن العالم الخارجي في ظل فقدان الأدوات التكنولوجية والنقل، إذ بقيت بريطانيا أسيرة لطبيعتها الجزرية قرونا، وبالتالي البقاء على هامش العلاقات الدولية، إلى أن طوّرت قدراتها البحرية التي فكت عنها العزلة وحولتها إلى قوة عظمى، ومن جانب آخر يمكن أن يؤدي توفر الشريط البحري الطويل للدولة إلى خلق تهديدات أمنية وإستراتيجية متزايدة، وفي نفس الوقت يمكن أن يكون مصدرا للقوة والرفاهية الاقتصادية، فعندما تكون القوة البحرية للدولة ضعيفة دون السيطرة على جميع سواحلها والتحكم في حركة التنقل من وإلى داخل الإقليم، فإن ذلك يشكل تهديدا مميتا للدولة البحرية، فقد تم غزو الجزائر من قبل فرنسا سنة 1830 بسبب تدمير القوة البحرية الجزائرية في معركة "نافارين" عام 1827، بشكل أصبحت فيه السواحل الجزائرية مكشوفة أمام الاختراق الأمني والعسكري ووفر سهولة وصول الجيش الفرنسي إلى اليابسة².

لكن من جهة أخرى؛ توفر السواحل الطويلة مع حضور شرط السيطرة والمراقبة للسواحل البحرية، مصادر متدفقة بوفرة للثروة وتنامي قوة الدولة، من خلال تنشيط التجارة الدولية وبناء المرافئ التجارية الدولية والعسكرية وبناء المدن الاقتصادية، حيث يشهد تاريخ العلاقات الدولية

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 252.

2 - نفس المرجع، ص. 252.

أن الكثير من المدن الإقتصادية الكبرى قد وجدت على البحر إلى يومنا هذا مثل الإسكندرية والبنديقية وقرطاج في العهد الروماني¹.

كما توفر العوازل الطبيعية امتيازات جيدة للدفاع أو الهجوم في الاستراتيجية العسكرية، إذ وجود الولايات المتحدة الأمريكية بعيدة عن العالم القديم، والذي تفصلها عنه مساحات مائية كبيرة، أدى بها إلى البقاء آمنة من أي هجوم عليها وبعيدة عن الحروب المدمرة التي حدثت في القرن العشرين، ونفس الأمر بالنسبة للموانئ التي حالت دون سيطرة "هتلر" على بريطانيا والاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية؛ هي الطبيعة الجزرية لبريطانيا التي لم تمكّن من عبور القوات الألمانية البحر إلى الأرض البريطانية، وبالنسبة للاتحاد السوفياتي فوجود الظروف الطبيعية القاسية المتمثلة في الغطاء الجليدي الطويل الذي حال دون إمداد القوات الألمانية بالمؤن الكافية من أجل الصمود في جبهات القتال، كما أكد على ذلك الكثير ممن حللوا تاريخ العلاقات الدولية².

يرتبط شكل الشريط الساحلي أيضا بشكل مباشر بالقوة البحرية واستفادتها من امتيازاته الجيو- مورفولوجية، إذ عندما تكون السواحل مستقيمة نسبيا فإنها تساعد على بناء المرفأء العسكرية والمدن العسكرية وحتى الموانئ التجارية، مما يزيد من قدرات القوة البحرية في السيطرة وتوفير الحماية واحتواء مصادر التهديد البحري، على عكس عندما يكون الشريط الساحلي شديد التعرج وصخرياً وشديد الانحدار ومتقطعاً؛ فإنه توجد صعوبة وتكلفة عالية في تشييد المرفأء العسكرية ونقاط المراقبة والسيطرة على المدن العسكرية ومراكز الصيانة وبناء السفن العسكرية وغيرها، ومن ثم تكون تكلفة بناء القوة البحرية للدولة جد عالية، والتي في نفس الوقت يرافقها قابلية كبيرة للعطب نتيجة للتكلفة العالية³.

ويضاف إلى ما سبق؛ أن طبيعة الشريط الساحلي للدولة المستقيمة والهادئة، تصبح مصدرا من مصادر الدخل الاقتصادي وكسب الثروة التي يمكن تمويل فوائدها في زيادة القوة على كل

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 252.

2 - نفس المرجع، ص. 253.

3 - نفس المرجع، ص. 253.

المستويات من جهة، وتؤدي إلى زيادة أهمية الدولة في جلب التجارة العالمية وتطوير الصناعة البحرية وصيانة السفن، وهي كلها خبرات تنعكس على القوة البحرية للدولة، والتي يؤدي تراكمها إلى زيادة إمكانية تحقيق السيطرة البحرية¹.

أما العنصر الآخر الذي يمكن أن يكون مصدرا لقوة الدولة البحرية فيما يتعلق بالأبعاد الجغرافية للدولة والتي يطلق عليها مفكري القانون الدولي الجرف القاري، والذي يعني امتداد يابسة الدولة تحت الماء بشكل متصل مع شاطئها الذي عادة ما يستغل في استخراج المعادن ومصادر الطاقة الأخرى منه، فمثل هذا الامتياز الجغرافي للدول البحرية قد يؤثر في معادلة العلاقات الدولية، فعلى سبيل المثال أدى اكتشاف النفط في بحر الشمال إلى تحطيم الاحتكار العربي لمصادر الطاقة بعد أزمة الطاقة في عام 1973، فمثل هذا الإمتياز الجغرافي على سبيل المثال هو غير متوفر للدول المغلقة على البحر أو التي لديها انكسارات حادة على شواطئها، وقد قرر مؤتمر جنيف الخاص باللجنة القانونية التابعة للأمم المتحدة في عام 1958؛ تحديد الرصيف القاري حتى عمق 200 متر².

2 - الافتراضات الاقتصادية:

تتحدد هذه الافتراضات الاقتصادية في نظرية القوة البحرية لـ "ألفرد ماهان" في افتراضين رئيسيين هما كالتالي:

1 - هناك علاقة بين القدرة على تحويل الموارد الطبيعية إلى موارد اقتصادية وتزايد نمو القوة البحرية للدولة، وفي نفس الوقت تعمل القوة البحرية باتجاه توفير الموارد الطبيعية لتحوّل إلى موارد اقتصادية تزيد من قوة الدولة في تمويل قدراتها البحرية وغيرها من أشكال القوة الأخرى، ومن ناحية المعرفة أو الإبتمولوجية، لقد تم تبني هذا الافتراض أيضا من قبل المحللين للمتغيرات أو العناصر المؤثرة في صياغة السياسة الخارجية للدول، إذ تتدخل القوة البحرية للدولة في تطوير الموارد الطبيعية وزيادة قوة الدولة من وجهة نظر "ألفرد ماهان" من خلال المساعدة على القيام بسلسلة من العمليات التسويقية والتحويلية عبر مرافئ العالم، وهذه المهمة لازالت قائمة إلى يومنا

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 253.

2 - نفس المرجع، ص. 253 - 254.

هذا في ظل أحدث تطور لوسائل النقل والذي لم تعرفه البشرية في تاريخها كله، فلقد ساهمت على سبيل المثال البحرية الإسبانية خلال القرن الخامس عشر على نقل أطنان من الذهب والمعادن الأخرى من العالم الجديد إلى إسبانيا وبذلك زادت من رفاهية إسبانيا وقدراتها العسكرية¹.

2 - أما الافتراض الثاني، فيقضي بأن هناك علاقة وثيقة بين القوة البحرية وزيادة الإنتاج الكبير للإقتصاد وكذلك تصريف أو تسويق فائض الإنتاج خارج الحدود عبر المرافئ العالمية، فمثل هذه المهمة لا يمكن أن تتم بدون قوة بحرية قوية وكبيرة متخصصة في عملية الشحن والنقل عبر البحار والمحيطات، وأيضا متخصصة بشؤون الحماية وتأمين خطوط التجارة الدولية للممرات الدولية الحيوية ومراكز التزود بالوقود والصيانة كما هو شأن البحرية البريطانية خلال القرن التاسع عشر والمنتصف الأول من القرن العشرين، وكذلك الدور الذي قامت به القوة البحرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية في تأمين خطوط الإمداد للجيش البريطاني عبر المحيط الأطلسي ضد الغواصات الألمانية وفك الحصار الألماني على السواحل البريطانية، إذ كانت البحرية البريطانية كما يعتقد "ألفرد ماهان" متعهدة بتأمين والمحافظة على بقاء خطوط التجارة البحرية مفتوحة بينها وبين مستعمراتها في الشرق عبر قناة السويس في مصر وبحر العرب وباب المندب، ومع باقي العالم الخارجي وعلى وجه التحديد عبر المحيط الأطلسي، خاصة في أوقات الحروب، ولقد انتبه الكثير من قادة العالم المناوئين لبريطانيا إلى نقطة قوة بريطانيا في القوة البحرية وحيوية استمرار اتصالها مع العالم الخارجي، فصمموا إستراتيجية عسكرية قائمة على قطع هذه الاتصالات وعزلها عن العالم الخارجي وتهديد مصادر التمويل لقواتها على الأرض البريطانية، فقام "نابليون بونابارت" في بداية القرن التاسع عشر بتسيير حملة عسكرية للسيطرة بالذات على مصر من أجل السيطرة منها على شبه القارة الهندية، كما قام "هتلر" بتعبئة الغواصات الألمانية لقطع خطوط الإمداد للجيش البريطاني عبر المحيط الأطلسي².

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 254.

2 - نفس المرجع، ص ص. 254 - 255.

3 - الإفتراضات السياسية:

تتمثل الإفتراضات السياسية لنظرية "الفرد ماهان" الخاصة بنظرية أولوية دور القوة البحرية في بناء الإستراتيجيات العسكرية وتحقيق النصر وحسم الحرب، في قيام التشريعات القانونية بتأكيد الدور الأولي للقوة البحرية في سياسة الدولة، وإعطاء الأولوية لكل ما يتصل بها من التشريعات الخاصة بإدارة المرافئ البحرية في سياسة الدولة، وتنظيم حركة النقل البحري وهيكله القوة البحرية وغيرها، وكذلك إيجاد الإطار القانوني المنظم للمدن البحرية التجارية ذات الأهمية الإستراتيجية للدولة وبقيائها القومي، سواء من حيث أهميتها في الدخل القومي (المدن التجارية)، أو من حيث أهميتها في السيطرة ومراقبة السواحل البحرية وتأمين حركة النقل عبر المحيطات والبحار (المدن العسكرية وما يتبعها من مرافئ عسكرية)¹.

كما أن هناك افتراض آخر متعلق بصياغة السياسة الخارجية ككل للدولة على أساس أولوية القوة البحرية وأهميتها في الإستقرار الدولي والتفاعل مع أطراف النظام الدولي وإدارة المصالح والامتيازات الحيوية للدولة عبر العالم بواسطة القوة البحرية، حيث يتمثل ذلك من الناحية العملية في قيام السياسة الخارجية البريطانية على مبدأ بناء شبكة اتصالات قوية بينها وبين مستعمراتها في آسيا وإفريقيا واستمرت في المحافظة على ذلك حتى بعد أن نالت هذه المستعمرات استقلالها في إطار ما أصبح يسمى بعد ذلك بمنظمة دول الكومنويلث، والتي عادة ما يصنفها المحللون للعلاقات الدولية ضمن فئة التحالفات المرنة، وقد رافق هذه السياسة تطوير للقدرات البحرية المتمثلة أساسا في تنفيذ الإستراتيجية البريطانية، خاصة عندما يتعلق الأمر بأمن المعابر الدولية وحرية حركة المرور عبرها (جبل طارق مثلا) والإبقاء على الاتصالات الدولية مفتوحة، وحتى في حالات الأزمات الدولية، تكون السياسة الخارجية البريطانية حساسة لأي تصعيد مفاجئ للوضع باتجاه شن الحرب بسبب الخوف من تضرر خطوط الاتصال مع العالم الخارجي وقطع الإمدادات المختلفة، ومن المفارقات المثيرة للاهتمام، أنه بعد الحرب العالمية الثانية تم استخلاف القوة البحرية الأمريكية محل القوة البريطانية في القيام بنفس الدور من خلال نشر الأساطيل البحرية الأمريكية المكونة أساسا من حاملات الطائرات والقطع المرافقة في الشحن والحماية، مثل

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 255.

الأسطول السادس في البحر الأبيض المتوسط والأسطول الخامس في منطقة الخليج العربي والأسطول السابع في المحيط الهندي¹.

فمن الناحية التاريخية؛ كانت السياسة الخارجية البريطانية منذ القرن التاسع عشر وإلى غاية منتصف القرن العشرين قائمة على منع بروز أية قوة بحرية أوروبية أو غير أوروبية، تسيطر على المناطق الحيوية وخطوط التجارة الدولية عبر البحار والمحيطات وتهدد بخنق الاقتصاد البريطاني، وفي نفس الوقت شجعت السياسة الخارجية على حرية التجارة الدولية وسياسة فتح المرافئ الدولية أمام البضائع العالمية استجابة للتطور الاقتصادي والصناعي الذي شهدته خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتطويرها لأسطولها البحري التجاري والعسكري بشكل متوازٍ، إذ أنها عملت باستمرار على تشجيع حرية الحركة عبر البحار والمحيطات من أجل التدفق الحر لبضائعها في الأسواق الخارجية، سواء تلك التي تخضع لسيطرتها أو الخاضعة للقوى العظمى الأخرى، وبذلك أصبحت القوة البحرية إحدى مكونات السياسة الإستراتيجية والخارجية للدول البحرية مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان².

2. مناقشة مفاهيمية:

يعتقد "جون ميرشيمر" أن إستراتيجية الدول في تكوين قدراتها البحرية تكمن في تأمين شواطئها من مهاجمة العدو بعمق معين كما هو حال الولايات المتحدة الأمريكية من الشرق والغرب على المحيط الأطلسي والهادئ، وكذلك تأمين خطوط التجارة والمواصلات عبر المحيطات والبحار المهمة خاصة عندما يعتمد إقتصادها على هذه المواصلات بشكل مأساوي كما هو حالة بريطانيا العظمى منذ القرن الثامن عشر، والتأهب لحالات الطوارئ أين يفترض عليها حصار بحري بحيث تستطيع إفشاله، وبصفة عامة؛ تبني القوى العظمى بالذات الأساطيل البحرية من أجل تأمين حرية الحركة عبر البحار والمحيطات والمضائق البحرية المهمة ومراقبتها، وفي حالة الحروب؛ فإن كسب السيطرة على البحر يمكن أن يتحقق عبر تدمير الأساطيل البحرية المنافسة

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص 255 - 256.

2 - نفس المرجع، ص 256.

في المعركة أو بواسطة حصارها في موانئها أو بواسطة منعها أو على الأقل إعاقتها من الوصول إلى الخطوط البحرية المهمة¹.

لكن في كل المواقف الإستراتيجية للقوة البحرية المذكورة سابقا، فإنها تبقى بحاجة ماسة لإيجاد طريق لاستخدام القوة ضد أرض العدو، على اعتبار أن السيطرة على البحر لذاتها لا توفر هذه القدرة، وفي هذا المستوى من التحليل تبرز أولوية القوة البرية بحيث أن القوات البحرية يمكن أن تنجز مجموعة من المهام العسكرية المدعمة للقوات البرية وليس لها أن تعمل بشكل مستقل²، وتتمثل تلك المهام في ما يلي:

1. المهمة الأولى: تتمثل في الهجوم البرمائي الذي تقوم به القوة البحرية في نقل المشاة والقوات المدرعة إلى شواطئ العدو من أجل نقل المعركة إلى أرضه لمتطلبات الضرورة الإستراتيجية، والسيطرة على بعض أقاليمه للإستعداد للزحف على مدنه الرئيسية وإجباره على الإستسلام كطريقة مثلى لحسم الحرب، وقد تواجه هذه القوات مقاومة من قبل العدو وتحدث خسائر في صفوف الطرف المهاجم، لكن الضغط المباشر والمستمر على القوات المدافعة سوف يجعلها في نهاية المطاف تستسلم، خاصة عندما يتوفر لدى الطرف المهاجم حجم معين من القوات البرية الزاحفة، كما هو حالة الهجوم البرمائي لقوات الحلفاء على النورماندي والزحف على القوات الألمانية في فرنسا ثم لاحقا ألمانيا في 6 جوان 1944م، مثل هذه الأطروحة تعني ضمنا أهمية القوات البرية، لكن عادة يكمن دور القوات البحرية في القيام بعمليات الإرهاق لقوات العدو ومنع وصول الإمدادات الأساسية التي عادة تأتي عبر البحر لسبب بسيط وهو أن اليابسة لا تمثل إلا جزءا قليلا من الكرة الأرضية³.

2. المهمة الثانية: تتمثل في الإنزال البرمائي، وذلك من خلال إنزال القوات البرية على شواطئ العدو والتي تخلو من تحصينات العدو، ولا يوجد فيها تركيز كبير لقوات العدو، بحيث يصبح الطريق سالكا نسبيا أمام القوات نحو العمق الإستراتيجي للعدو قبل أن يستعد لصددها، ولهذه

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 256 - 257.

2 - نفس المرجع، ص. 257.

3 - نفس المرجع، ص. 257.

المهمة العديد من الأمثلة، منها نزول القوات البريطانية إلى فرنسا والبرتغال خلال الحروب النابليونية، وإنزال وحدات الجيش الألماني في النرويج في ربيع 1940م خلال الحرب العالمية الثانية، فمثل هذه العمليات لا تكون سهلة إلا بعد العمليات الأولية أو التمهيديّة لإخلاء مناطق الإنزال من مخاطر إفشاله عبر قوات الخصم التي تملك امتيازات الحماية وراء التحصينات الأرضية، فمثل هذه المهمة إما أن تتم عبر القصف الصاروخي من البوارج أو الطائرات التي تنطلق من حاملات الطائرات¹.

3. المهمة الثالثة: بالنسبة للمهمة الثالثة للقوات البحرية الملازمة للإستراتيجية البرية، فهي تتمثل في عملية نقل القوات البرية إلى الأراضي المسيطر عليها من قبل القوات الصديقة استعداداً للإشتباك مع قوات العدو على جبهات القتال، ومن الأمثلة على ذلك نقل القوات الأمريكية عبر المحيط الأطلسي للمشاركة إلى جانب قوات الحلفاء في أوروبا في الحرب العالمية الأولى والثانية ضد القوات الألمانية².

وفي بعض الأحيان تؤدي القوات البحرية مهام مستقلة بشكل جزئي، وتكمن لاحقاً بواسطة زحف القوات البرية على الأرض، ومن ذلك قيامها بالقصف الجوي ضد القوات المتحصنة على أرض العدو وضد مدن العدو أو أهداف عسكرية منتقاة، موجودة على شواطئ العدو وتضرب بواسطة القوة النارية الداعمة من مدافع أو صواريخ السفن والغواصات أو بواسطة الطائرة المنطلقة من حاملات الطائرات، والهدف من ذلك هو المساعدة بواسطة إجبار العدو - سواء بواسطة عقاب مدنه أو بواسطة تغيير التوازن العسكري ضده - على الاستسلام وإنهاء الحرب والقبول بكل الشروط³.

صحيح أن أنصار إدعاء أولوية القوة البرية وجيه عندما يعتقدون أن نقطة الضعف الكبيرة في القوات البحرية هي أنها أهداف سهلة للمدافع ومنصات إطلاق الصواريخ عندما تقترب من شواطئ الهدف جراء بطء حركتها، وحتى عندما تكون في أعالي البحار فإنها هدف سهل في

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 257.

2 - نفس المرجع، ص. 257 - 258.

3 - نفس المرجع، ص. 258.

إيجادها وإغراقها من قبل المقنبلات من الجو، فلقد أغرقت العديد من حاملات الطائرات اليابانية في الحرب العالمية الثانية بواسطة الطائرات الأمريكية، ولذلك أصبحت لدى القوات البرية للعدو قدرات - عبر زيادة مدى القذائف - لجعل السفن والبوارج البحرية بعيدا عن شواطئها، وبالتالي تعدد مهامها الثلاثة السابقة الذكر من منظور أنصار نظرية القوات البرية، لكن التكنولوجيا الحديثة المعقدة قد فككت من تعقيدات هذه المشكلة، من خلال الإستشعار عن بعد أو عبر الأقمار الإصطناعية والقوة الإعتراضية للصواريخ المهاجمة¹.

لقد تعرض "جون ميرشيمر" إلى أكثر افتراضات نظرية القوة البحرية تماسكا وجذبا، والمتعلقة بدور القوة البحرية في فرض حصار بحري على العدو وخنق اقتصاده وحرمانه من التجارة الخارجية والمواد المساعدة على استمرار الحرب أو التي تبقى صامدا، فينهار من ذاته ويستسلم، أو يتم فرض حصار على موانئه من أجل حرمانه من تصدير مواده الأساسية وبضائعه وبالتالي تجفيف مصادر تمويل قواته المسلحة، مما يؤدي بهذه الأخيرة إلى الإنهيار أو الانقلاب على القيادة العسكرية والسياسية، وعليه فالضعف الذي يعاني منه هذا الافتراض هو الإمكانية العالية لفشل الحصار البحري كما سيأتي تبيان، لكن كما أشرنا من قبل، فلأنصار نظرية أولوية القوة البحرية في استراتيجيات الحرب حق الرد على هذه الانتقادات التي تبرز أساسا من خلال التمييز بين امتيازات الدول ذات الشواطئ البحرية ونظيرتها التي تفتقدها، بالإضافة إلى الإمتياز الذي تملكه الدول ذات القدرة البحرية المسيطرة من غيرها، فعلى سبيل المثال كانت إحدى الانتقادات الأمريكية الموجهة لفرنسا عشية الحرب على العراق عام 2003م - على خلفية معارضة هذه الأخيرة لقرار الحرب - أنهم لا يملكون سوى حاملة طائرة واحدة².

أما الإستراتيجية الأخرى المقصودة من الحصار البحري هي إنزال عقوبة قاسية على السكان المدنيين للعدو، بواسطة قطع الواردات الغذائية عنهم وجعل الحياة بائسة إن لم نقل مميتة لمعظم المواطنين، ونتيجة لتزايد معاناة السكان وموت عدد كاف من الشعب، سينهار الدعم الشعبي للحرب وينقلب الشعب ضد حكومته ويجبرها على وقف الحرب وتوقيع اتفاقية الاستسلام أو

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 258.

2 - نفس المرجع، ص. 258.

السلام، وهي استراتيجية كلاسيكية مستخدمة منذ الحروب الأولى اليونانية بين إسبرطا وأثينا، وتستخدمها القوات البحرية والبرية، وأن الحصار البري ليس فعالاً مثل الحصار البحري بسبب أن فك الحصار البحري هو مهمة فئة معينة مدربة على مهارات القتال البحرية والمناورة، في حين نظيره البري قد يشترك فيه عموم الشعب وبالتالي احتمالات الفشل عالية، لكن يعتقد "جون ميرشيمر" - من أجل دحض افتراضات أنصار القوة البحرية - أن معظم الحصارات البحرية في التاريخ العسكري لم تؤدي إلى نتائج عسكرية ملموسة¹.

ويستشهد "جون ميرشيمر" بوقائع من تاريخ العلاقات الدولية حول دور حصار القوات البحرية والنتائج المحتملة على مسار الحرب ومخرجاتها الممكنة، إذ عدّد ثماني حالات في تاريخ العلاقات الدولية والتي حاولت فيها القوى العظمى إجبار غيرها على الاستسلام عبر الحصار وهي كالتالي:

- 1 - حصار فرنسا للمملكة المتحدة خلال الحروب النابوليونية.
- 2 - حصار المملكة المتحدة لفرنسا.
- 3 - حصار فرنسا لبروسيا في عام 1870م.
- 4 - حصار ألمانيا للمملكة المتحدة.
- 5 - حصار المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية لألمانيا والنمسا والمجر في الحرب العالمية الأولى.
- 6 - حصار ألمانيا للمملكة المتحدة خلال بداية الحرب العالمية الثانية.
- 7 - حصار المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية لألمانيا في نهاية الحرب العالمية الثانية.
- 8 - حصار الولايات المتحدة الأمريكية لليابان في الحرب العالمية الثانية بعد تدمير معظم الأسطول البحري الياباني².

يتضح من المنظور النقدي لـ "جون ميرشيمر" حول أكثر ادعاءات أنصار القوة البحرية تماسكا، من خلال طرح مجموعة من التساؤلات الرئيسية وهي:

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 259.

2 - نفس المرجع، ص. 259.

1 - هل هناك دليل ملموس واضح المعالم على أن الحصارات التي تفرضها الأساطيل البحرية وحدها يمكن أن تُجبر العدو على الإستسلام؟

2 - وهل تستطيع الحصارات البحرية المساهمة بشكل مهم في النصر الذي تقوم به القوات البرية؟

3 - هل يمكن أن يكون تأثير الحصار البحري على المخرجة النهائية للحروب حاسما في كسب الحرب وإنهائها؟

فبالنسبة لحصار القوات النابوليونية في بداية القرن التاسع عشر لبريطانيا، يؤكد "جون ميرشيمر" على حقيقة أنه قد أدى إلى الإضرار بالإقتصاد البريطاني، لكن مع ذلك إستمرت المملكة البريطانية، صامدة في الحرب وكانت الطرف الراجح لها في النهاية في معركة "واترلو" عام 1815م، أما فيما يخص الحصار البريطاني لفرنسا النابوليونية، فإنه لم يرد تدمير الإقتصاد الفرنسي أو يؤثر على آدائه الإنتاجي ولم يتعرض إلى قصف بحري، في الحقيقة أطروحته مدعمة باعتقاد المحللين الإستراتيجيين أن هزيمة "نابليون بونابارت" كانت برية وليست بحرية، أما الحصار الفرنسي لبروسيا في عام 1870م، فلم يكن له تأثير يذكر على مستوى إستراتيجية الحرب أو حتى على المستوى التكتيكي، كما لم يكن له تأثير على اقتصاد بروسيا، والدليل على ذلك تحقيق الجيش البروسي نصرا مبرما على الجيش الفرنسي في عام 1870م حيث تم الدخول إلى باريس وفرض معاهدة الاستسلام، وكذلك الأمر بالنسبة للحصار الألماني على بريطانيا العظمى عبر حملة الغواصات الألمانية على السفن البريطانية في الحرب العالمية الأولى، فقد هددت بإخراج المملكة المتحدة من الحرب عام 1917، غير أن ذلك الحصار قد فشل في النهاية ولعب الجيش البريطاني دورا مهما في هزيمة الرايخ الألماني في عام 1918 في نفس ذلك النزاع، إذ فرضت البحرية البريطانية والأمريكية حصارا على ألمانيا وإمبراطورية النمسا والمجر، مما أضر باقتصاد الدولتين وسبب معاناة كبيرة بين المدنيين، إلا أن ذلك لم يكن حاسما في استسلام الدولتين وإنهاء الحرب، ولم تنته الحرب إلا بعد هزيمة القوات البرية الألمانية في الجبهة الغربية في صيف 1918، وكذلك الأمر بالنسبة للنمسا والمجر، وفي هذا الصدد يمكن أن يرد أنصار

القوة البحرية بأن القوات البرية لم تنهزم من فراغ، وإنما كانت قد أنهكت بواسطة الحصار وجعل وضع القوات البرية على الجبهات بائسا وصعبا لا يساعد على الصمود¹.

ونفس الأمر في الحرب العالمية الثانية؛ قد قامت القوات البحرية الألمانية بفرض الحصار على بريطانيا بهدف منع وصول السفن التجارية إلى مرافئها وكذلك السفن الحاملة للمعدات العسكرية الأمريكية والمواد الضرورية للحرب، أملا بخنقها والضغط على قواتها العسكرية والسكان المدنيين من أجل استسلامها أو على الأقل تحييدها وإخراجها من الحرب، لكن هذه الحملة البحرية هي الأخرى فشلت في تدمير الإقتصاد البريطاني وإلحاق الهزيمة ببريطانيا في الحرب، ونفس الأمر بالنسبة للحصار الأنجلو- أمريكي على ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية، لم يكن له تأثير مهم على اقتصاد ألمانيا من وجهة نظر "جون ميرشيمر" بسبب اعتماده على قدراته الذاتية، ولكن حتى في هاتين الحالتين؛ نجد أنه قد تدخلت عناصر أخرى في إفشال الحصار ذاتيا، ففي الحالة الأولى قامت أمريكا بإنقاذ بريطانيا وأصبحت مصدرا متدفقا وآمنا للمعدات ومواد التموين للقوات البريطانية وعموم الشعب، وفي الحالة الثانية أحدث الحصار أضرارا بليغة على الإقتصاد الألماني، وفي نفس الوقت قامت البحرية بعمليات الإنزال والزحف البري، وعليه تعتبر هذه حقائق لا يستطيع إنكارها أنصار أولوية القوة البرية².

وعليه يقر "جون ميرشيمر" بحالة وحيدة في تاريخ العلاقات الدولية خاصة بالحصار البحري التي كان لها تأثير على مخرجات الحرب النهائية، وهي حصار الولايات المتحدة الأمريكية لليابان خلال الحرب العالمية الثانية، هذا الحصار البحري الذي أدى إلى إضعاف اقتصاد الخصم وتسبب في إحداث أضرار بالغة في صفوف القوات المسلحة، فهي الحالة الوحيدة من بين الحالات الثمانية التي نجحت فيها إستراتيجية الإكراه في إنهاء الحرب واستسلام اليابان غير المشروط قبل هزيمة جيشها الوطني المقدر بمليونين في المعركة البرية في شهر أوت 1945م، ومع الإقرار بهذه الحالة يجادل "جون ميشيمر" حول الدوافع الحقيقية خلف الإستسلام الياباني غير المشروط قبل تدمير قواته البرية، فهو يعتقد أن اليابان كدولة قد هزمت في نهاية جوان 1945م، وأصبح

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص ص. 259 - 260.

2 - نفس المرجع، ص ص. 260 - 261.

الهدف أمام القيادة العسكرية والسياسية هو تجنب الإستسلام غير المشروط، وإذا كانت القوات البرية في الشرق لم تدمر، فإن نظيرتها في الغرب (الصين) وفي الجنوب قد تورطت في حروب مكلفة جدا ولم يعد بإمكان الحكومة اليابانية تحملها، وبذلك هزمت معظم القوات اليابانية المرابطة في تلك الجزر وأجبرت اليابان على الإنسحاب مع حلول عام 1945م، كما أن العامل الآخر الذي أنتج مخرجة استسلام اليابان غير المشروط هو القصف الجوي الأمريكي لمعظم المدن اليابانية مع حلول نهاية جوان 1945، متسببا في دمار شامل للمدنيين اليابانيين والبنية التحتية، غير أنه - اتساقا مع افتراضات نظرية القوة البرية - لم يؤد القصف الجوي المكثف بالمدنيين للثورة على الحكومة والمطالبة بوقف الحرب وتوقيع عهد الإستسلام، مما جعل التساؤل الذي يبقى مطروحا هو لماذا استمر اليابان في الصمود؟¹.

فمن وجهة نظر "جون ميرشيمر"؛ أن القيادة اليابانية كانت مُقرّة بقوة الجيش الأمريكي البرية وإمكانية سيطرتها على كل الجزر اليابانية، غير أنهم قد استمروا في الاعتقاد بإمكانية التفاوض مع الأمريكيين حول قضية الإستسلام غير المشروط والمحافظة على السيادة اليابانية، ومفتاح الأمل بالنسبة لهم هو قبول الإتحاد السوفياتي التوسط بينهم وبين الأمريكيين في إدارة هذه المفاوضات، والذي لم يتورط في معركة المحيط الهادي معهم، إلا أن المتغير الحاسم الذي أدى باليابانيين إلى الإستسلام غير المشروط هو القصف النووي لمدينة "هيروشيما" في 6 أوت 1945م ومدينة "ناغازاكي" في 9 أوت 1945م، وهو السبب الذي دفع بالإتحاد السوفياتي إلى إعلان دخول الحرب إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية ضد اليابان في 8 أوت 1945م، والهجوم على الجيش الياباني في منشوريا في اليوم التالي، ويضاف إلى ذلك أن الإنهيار السريع للجيش الياباني (الكاونتيج Kwantung) على يد الجيش الأحمر في منشوريا، قد بين أن الجيش في الوطن الياباني من المحتمل أن يسقط سريعا ومن السهل حدوث الغزو الأمريكي².

والنتيجة التي خلص إليها "جون ميشيمر" من هذه المحاججات الإستراتيجية؛ هي أن الحصارات البحرية وحدها لا تستطيع أن تجبر العدو على الإستسلام، وأنه من النادر أن تضعف

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 261.

2 - نفس المرجع، ص. 261 - 262.

الحصارات البحرية جيوش العدو البرية، ولا تساهم في إيجاد طرق مهمة لنجاح الحملة البرية، ومن ثم يبقى دور الحصارات البحرية مشتقا من دور قواته البحرية الثانوية في مساعدة وتعزيز الحملة البرية في كسب الحروب وتحقيق النصر الحاسم على العدو على جبهات القتال وليس في الجو أو فوق الماء، في مقابل محاججات أنصار القوة البرية التي لها الكثير من الجوانب الوجيهة؛ يحق لأنصار نظرية أولوية القوة البحرية التساؤل عن العوامل التي تبقى القوات البرية تعمل على الأرض بفعالية وتحول دون انهيارها، خاصة عندما تكون جبهات القتال بعيدة عن مصادر التمويل كما هو حال القوات الأمريكية في عامي حربي أفغانستان 2002 والعراق 2003 على التوالي؟ وإذا كانت للقوات البرية امتياز القدرة على السيطرة على المواقع الحيوية للعدو ومدنه الرئيسية والبنية التحتية للنقل والاتصال، فإن للقوات البحرية امتياز إعادة تنشيط وتأمين التجارة الدولية التي تجعل الدول تصمد في الحروب القاسية، بالإضافة إلى المحافظة على أمن شواطئ الدولة أثناء القتال، وصد أي إنزال برمائي على إقليم الدولة، وإبقاء تهديدات العدو بعيدة عن يابسة الدولة¹.

3. القيمة الإستراتيجية للبحرية:

يمثل البحر مصادر القوى الرئيسية الأربعة؛ فالبحر هو الحاجز الذي يفصل بين الأراضي وبذلك يكون لديه مهمة دفاعية، كما أنه يمثل حلقة وصل بين الأراضي فقد يكون على العكس من ذلك طريقا للغزو، وللسبب نفسه وبموجب مبدأ "أرشميدس Archimède" الذي يمنح السفن القدرة على تحميل أقصى قدر من المنتجات بأقل تكلفة مادية، إذ تعتبر السفن الناقل التجاري الرئيسي في العالم، وأخيرا فإن البحر يزخر بمجموعة كبيرة من الموارد الحرة والمعدنية وبمصادر الطاقة².

وبالتالي فإن السيطرة على البحر أو حرية الحركة في البحر تعتبر الرهان الرئيسي، ومن أجل الفوز بهذا الرهان والحفاظ عليه أصبح من الضروري بناء سفن قتالية يكون استخدامها هو

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 262.

2 - جوزيف هينروتين وآخرون، حرب واستراتيجية: نهج ومفاهيم (الجزء الثاني)، (ترجمة: أيمن منير)، (الصفحة/ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، جوان 2019)، ص. 25.

الهدف المحدد من إستراتيجية الحرب البحرية، أما عن إستراتيجية البيئة البحرية فهي تشتمل على عملية استغلال السيطرة على البحر، فعندما يكون أحد الأطراف المعنيين بالأمر أضعف من أن يدعي قدرته على السيطرة على البحر؛ فإنه يكتفي، انطلاقاً من إستراتيجيته للحرب البحرية، بمنع خصمه من استغلال السيطرة على البحر، فمن بين مهمات إستراتيجية الحرب البحرية في زمن الحرب، المعركة الهجومية أو الدفاعية ضد القوات البحرية للعدو، وإذا رفضت هذه الأخيرة الإنصياع فإن الحصار المفروض على موانئها يسمى الحصار البحري أو العسكري في مقابل الحصار التجاري، كما أن هناك أيضاً إستراتيجية الحرب البحرية في زمن السلم، أي تلك التي تغطي أساساً الاستعداد القتالي (بناء السفن والقواعد وتدريب الموظفين،... إلخ)¹.

وتتمتع إستراتيجية البيئة البحرية أيضاً بمهتين في زمن الحرب، تتمثلان في تمويل القوات البرية الصديقة أو المتحالفة معها بما يحتاج إليه، مع العمل على خنق تجارة العدو (بالحصار التجاري) والهجوم على سواحله أو عن طريق استعراض القوة (بإسقاط القنابل) أو من خلال استعراض القوات البرية من خلال عملية ذات طبيعة مشتركة بين القوات، أما في زمن السلم فتعمل إستراتيجية البيئة البحرية من خلال الدبلوماسية البحرية التي تتميز "بإظهار الأعلام البحرية" من الخارج من أجل إرسال إشارات ودية أو معادية، وأيضاً بغرض تطوير البنية التحتية للموانئ ودعم الأنشطة البحرية وإعداد القانون البحري والبعثات المكلفة باحترامه، حيث تتصف هذه البعثات في فرنسا بأنها صاحبة "خطة عمل الدولة في عرض البحر" والتي تضع القوات البحرية على مفترق طرق بين المجال العسكري والمجال المدني².

4. المكونات البنوية والتأثير الإستراتيجي:

إن فضاء القوة البحرية متكون من أربعة عناصر رئيسية تكمل كل واحدة منها الأخرى، وإن كانت تختلف في الأهمية إلا أنه يجب توفرها لدى أي دولة تطمح في تكوين قوة بحرية مؤثرة بمنطقتها، ولبناء قوة بحرية ذات تأثير كبير في ميزان القوة العسكرية الدولية يتوجب توفر أموال طائلة وخبرة لا يستهان بها في مجال التقنية والعلوم البحرية، لأن مضمون القوة البحرية لا ينحصر

1 - جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص. 26.

2 - نفس المرجع، ص. 26.

في معناها الضيق؛ وهو أسطول بحري يجوب المياه الإقليمية ولكنها تعني أكثر من ذلك بكثير فهي تتكون من أربع عناصر رئيسية هي كالتالي¹:

1 - المواني البحرية.

2 - الأسطول التجاري.

3 - الثروة الإقتصادية البحرية.

4 - القوات البحرية.

ومن خلال الإطلاع على هذه العناصر يتبين توافقها مع العناصر التي تتكون منها إستراتيجية أي دولة ويكون لها من خلالها تأثير إستراتيجي، وهي: العنصر الإقتصادي، العنصر السياسي، العنصر النفسي، والعنصر العسكري.

وعليه سنركز هنا على العنصر الرابع (القوات البحرية) للإلمام بأهميته ومدى تأثيرها، فالقوات البحرية هي العمود الفقري للقوة البحرية فبضعفها تضعف ويقوتها تقوى، كما أنها تشكل إحدى أساسيات الإستراتيجية العامة للدولة فإذا قل الإهتمام بها تزعزعت أسس هذه الإستراتيجية، وإذا أعطيت الإهتمام المطلوب حققت الإستراتيجية العامة للدولة وأهدافها².

وهناك جانب مهم تجدر الإشارة إليه من الناحية العسكرية، فالقوات البحرية تعتبر السلاح الوحيد الذي يستطيع أن يتحول من حالة السلم إلى حالة الحرب في ساعات معدودة، حيث أن القطع البحرية يفترض دائما أنها تجوب البحر وهي دائما مجهزة بأسلحتها ووقودها ومعداتنا حتى في حالة السلم، ولذلك تعتبر القوات البحرية دائما هي السبابة في الإستعداد لأي ظرف طارئ، وهذه الميزة تعطي للقوات البحرية الأولوية في إستخدامها في كافة الحالات³، ومن ثمة نلخص المجالات الواجب الإهتمام بها في النقاط التالية:

1 - حسن علي أبو شناق، "القوة البحرية: عناصرها وأهميتها الإستراتيجية"، (2019/11/12)، نقلا عن موقع مجلة المسلح على الرابط التالي: <http://almusallh.ly/ar/stratigystud/41-arabic/navy/165-vol-31-48>

2 - نفس المرجع.

3 - نفس المرجع.

1 - يجب أن يتكون الأسطول البحري من جميع أنواع السفن القتالية (الضاربة والمُساعدة) من فرقاطات وخافرات وزوارق صاروخية وغواصات وسفن وقطع كسح الألغام وزوارق خفر سواحل وغيرها.

2 - وجوب توفر جميع المُساعدات الأرضية لهذه السفن لتضمن لها الإستمرارية مثل ورش وأحواض الصيانة وقطع الغيار وغيرها.

3 - ونظرا لأن العمل بالبحر مرهق وشاق ونتيجة للتقدم التقني المستمر في تسليح القوات البحرية، لذلك يتطلب تزويد القوات البحرية بطاقات بشرية ذات الكفاءات العلمية والفنية العالية بإستمرار، وهذا يتطلب توفير مراكز التدريب والمؤسسات التعليمية المتنوعة والمتخصصة الخاصة بالقوات البحرية.

4 - توفير الحماية الساحلية والجوية وذلك بتغطية السواحل بمنظومات المدفعية الساحلية وتشكيلات جوية وشبكات إتصالات خاصة بالقوات البحرية.

5 - يجب توفير جميع الإمكانيات المالية والبشرية والمعنوية للقوات البحرية حتى تتوفر لها السبل لتحقيق المهام المناطة بها وقت السلم والحرب، ولا يجب أن يقل الاهتمام بها بأي نوع من الإمكانيات بحجة عدم الحاجة الماسة لها أو لعدم ظهور مردود ما ينفق عليها وقت السلم¹.

وعليه فإن هناك عوامل مساعدة لتأسيس قوة بحرية مؤثرة وفعالة وذات تأثير إستراتيجي، يجب أن تأخذ في الحسبان عند بناء كل عنصر من عناصر القوة البحرية، والتي تعتبر ضرورية لبناء القوة البحرية على أسس صحيحة، ونورد هذه العوامل في مايلي:

1 - بالنسبة للمواني البحرية: يجب أن يراعى في تصميمها الجانب العسكري من حيث توفير أرصفة خاصة لقطع القوات البحرية وأحواض صيانة تقدم الخدمات اللازمة لقطع الأسطول التجاري والعسكري، كما يجب الإهتمام أيضا بالحماية البحرية للمواني وكذلك إعطاء المنارات وعلامات الإرشاد بالساحل الإهتمام اللازم، والجانب الأكثر أهمية هو أن يكون تكوينها الإداري قابل للتحويل إلى الإدارة العسكرية في حالة الحرب².

1 - حسن علي أبو شناق، مرجع سابق.

2 - نفس المرجع.

2 - بالنسبة للأسطول التجاري: يجب أن يراعى عند تصميم السفن التابعة للأسطول التجاري أن تكون قادرة على أداء مهام أخرى في حالة الحرب، مثل أن تستعمل سفن الشحن في نقل المعدات والأسلحة وتزويد قطع القوات البحرية بالمعدات والمهمات والوقود بالبحر، إلى جانب تجهيزها بوسائل إتصالات ورصد متطورة للإستفادة من هذه السفن كوسيلة جمع معلومات في حالة السلم، كما يجب أن يشارك الأسطول التجاري في المناورات البحرية التي تقوم بها البحرية حتى يتعود الطرفان على التعامل على نفس الأسس والأسلوب، مع مراعاة توحيد الدراسة الأكاديمية لضباط الأسطول التجاري، وضباط القوات البحرية حتى يكون كل منها صالحا للعمل في موقع عمل الآخر في حالة الحرب، بالإضافة إلى ذلك يفترض أن يكون التعامل الإداري بين الأسطول التجاري والمواني والقوات البحرية موحدًا ومتناسقًا حتى يسهل تحويل التعامل الإداري بينهم إلى تعامل عملياتي تحت قيادة واحدة في حالة الحرب¹.

3 - بالنسبة للثروة الإقتصادية البحرية: نظرا لأهمية هذا العنصر من الناحية الإقتصادية يجب على الدولة أن تعطيه الكثير من الإهتمام، والذي يتمثل في توفير الكفاءات البشرية المتخصصة في استخراج هذه الثروة إلى جانب وضع الخطط المستقبلية لكيفية استغلالها بالشكل الصحيح الذي يحقق للدولة تنفيذ إستراتيجيتها العامة، كما يجب أن توفر لها الحماية البحرية اللازمة والرادعة للمغامرين وسارقي ثروات الشعوب، إلى جانب توفير التغطية السياسية والقانونية بحيث يتوجب وضع القوانين التشريعية الصارمة لردع من تسول له نفسه الاعتداء على هذه الثروة وأن تكون قرارات الدولة السياسية قوية لا تراجع فيها ولا تفاوض ولا تفريط بأي جزء منها لو أدى الأمر إلى إعلان حالة الحرب في سبيل إثبات حقها في إستغلال ثرواتها لتبرهن للدول الأخرى على جديتها واستعدادها لتحمل جميع التبعيات في سبيل المحافظة على هذه الثروة².

4 - بالنسبة للقوات البحرية: إن القوات البحرية تمثل صمام الأمان وتوفر الحماية للعناصر الثلاثة الأخرى المكونة للقوة البحرية، ولذلك يتوجب أن يعطي هذا العنصر المهم كافة الإهتمام والرعاية بحيث يتوجب على الدولة توفير الميزانية المالية اللازمة والمستمرة له للرفع من كفاءته

1 - حسن علي أبو شناق، مرجع سابق.

2 - نفس المرجع.

القتالية واحتياجاته الفنية والعديدية، لأن مردود القوات البحرية قد لا يظهر واضحا في حالة السلم، ولكنه يتجلى بكل وضوح في حالة الطوارئ وحالة الحرب، حيث يقع العبء الأكبر في توجيه دفة الحرب كما يكون لها تأثير كبير عند اتخاذ أي قرار سياسي، ولذلك يتوجب أن يكون الاهتمام بالقوات البحرية في جميع الاتجاهات والتي تؤدي في النهاية إلى تكوين قوات بحرية قوية ومؤثرة وقادرة على ردع أي اعتداء وأن تقوم بواجباتها كاملة فيما يخص حماية شواطئ ومنجزات و ثروات الدولة¹.

المحور الثالث: فضاء القوة الجوية

إن فضاء القوة الجوية يعتبر البعد الثالث من فضاءات القوة في الدراسات الإستراتيجية والعسكرية وأحد عناصر قوة الدولة، إذ ظهرت أهمية هذا الفضاء منذ استخدام الطائرة لأول مرة في التاريخ، وكذا بدايات الإهتمام بالتغيرات التكنولوجية والعملياتية الخاصة بالحرب، مما عرض منطري وأنصار أولوية القوتين البرية والبحرية للنقد، والمطالبة بإعادة النظر فيها، وإعتبارا هاذين القوتين مجالات وفضاءات ثانوية وعلى الجميع الإقرار بذلك، وعلى إثر ذلك سيتم في هذا المحور التطرق إلى فضاء القوة الجوية بالتفصيل.

1. التطور التاريخي في استخدام القوة الجوية:

رواد نظرية أولوية القوة الجوية:

أ – ألكسندر دي سفرسكي:

يعتبر "ألكسندر دي سفرسكي Alexander de Seversky" أحد رواد نظرية القوة الجوية، وهو من أصل روسي ومن المدافعين عن فكرة أولوية القوة الجوية في حسم الحرب وتحقيق النصر السريع، لما أصبحت عليه أدوات الحرب الجوية من تطور تكنولوجي وصل إلى مستوى إبداع ما أصبح يسمى بـ "الأسلحة الذكية"، حيث أن الخاصية التي يتمتع بها "سفرسكي" هو مشاركته في الحرب العالمية الثانية مع طلائع القوة الجوية لبلاده التي حققت النصر على الألمان ولو بعد

1 - حسن علي أبو شناق، مرجع سابق.

سنوات من الحرب، إلا أنه لسبب أو لآخر تم إبعاده عن القوات الجوية وعين ملحقاً جويًا في السفارة السوفياتية في واشنطن قبل أن تنتهي الحرب، وربما كان ذلك هو الدافع الحقيقي وراء طلبه اللجوء السياسي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ثم العمل في وزارة الدفاع الأمريكية كخبير إستراتيجي في الشؤون الخاصة بالقوة الجوية ومجالات الإستراتيجية العسكرية بصفة عامة¹.

ومن أكثر أفكاره شهرة وتأثيراً على الفكر الإستراتيجي الأمريكي؛ اقتراحه إنشاء قوة جوية متطورة تكنولوجيا للسيطرة على أجواء منطقة القطب الشمالي، وهي المجال الشمالي للأمن القومي الأمريكي، إذ تطورت هذه الفكرة بعد تعميمها كنظرية في الحروب الحديثة، والتي تقتضي بالسيطرة الجوية على جبهات القتال من أجل حسم الحرب في فترة قصيرة وتحقيق النصر على العدو، كما أدت فكرته إلى تأسيس نظام الإنذار المبكر والذي يمتد من ولاية ألاسكا الأمريكية مروراً بكندا إلى أسكتلندا وبريطانيا والنرويج، وذلك من أجل إحكام السيطرة الجوية على هذه المنطقة الحيوية للأمن الأطلسي وقلب النشاط العسكري للحلف الأطلسي، وكان الهدف الأساسي لهذه الإستراتيجية آنذاك هو متابعة ورصد تحركات القوات البحرية السوفياتية عبر الأطلسي بما فيها الغواصات الإستراتيجية تحت الماء، ومن أعماله الفنية التي ارتبط بها اسمه في وسط الدراسات والبحوث الإستراتيجية والأمنية كتابه الذي يحمل عنوان: "القوة الجوية مفتاح البقاء Air Power: Key to Survival" الذي نشر عام 1950².

المضمون النظري لأفكار "سفرسكي":

بحكم تخصصه واحترافه العسكري وخبرته في الحرب العالمية الثانية، أدرك "سفرسكي" الدور المؤثر للقوة الجديدة في حروب المستقبل وهي قوة الطائرة، وما يمكن أن تقوم به في توجيه المعارك على جبهات القتال سواء على اليابسة أو فوق الماء، حيث أن لـ "سفرسكي" اعتباره الإستراتيجية عند اختياره منطقة القطب الشمالي لتكون مجالاً لعمل القوة، يمكن تحديدها في ثلاثة عناصر رئيسية هي كالتالي:

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 262 - 263.

2 - نفس المرجع، ص. 263.

1 - العنصر الأول: وهو متعلق بالجغرافيا الطبيعية والمتمثل في أن هذه المنطقة تغطيها مسافات مائية كبيرة من جهة، تجعل كثافة الملاحة البحرية فيها صعبة وفي نفس الوقت توفر ملاذات جيدة للتخفي والتمويه من جهة ثانية.

2 - العنصر الثاني: ويتعلق بطبيعة المناخ، وهو أن هذه المنطقة تتميز بظروف مناخية قاسية إذ أنها منطقة جليدية في معظم أشهر السنة (اليابسة منها والماء)، والبعض منها مجمد بشكل دائم طول السنة مما يعوق حركة القوة البحرية بسهولة فيها.

3 - العنصر الثالث: وهو متعلق بالجغرافيا السياسية والمتمثل في التقارب الجغرافي بين القوى العظمى الرئيسية المتنافسة حول السيطرة على النظام الدولي، وهما الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية¹.

وبناء على هذه المعطيات الإستراتيجية، فإن السياسة المناسبة لإبقاء هذه المنطقة آمنة هي بناء قوة جوية تعمل على تغطية هذه المنطقة الشاسعة مستعينة بالتكنولوجيا الفضائية الدقيقة في الاستشعار والتعقب والرصد، فمثل هذه المهمة ليست متاحة للقوة البرية وبشكل أقل للقوة البحرية، بسبب العوائق المناخية والجغرافية السالفة الذكر، فبمثل هذه الاستراتيجية تجد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في أوروبا الغربية أهدافهم الإستراتيجية آمنة وتعمل بفعالية، والمتمثلة أساسا في بقاء خطوط التجارة والاتصال بين ضفتي الأطلسي مفتوحة ومنتدفة بشكل مستمر، وعليه فالمحصلة التي أراد "سفرسكي" الوصول إليها هي أولوية القوة الجوية في الضبط والسيطرة وحسم النزاعات والحروب المستقبلية على نقيض المنظرين للقوة البرية والقوة البحرية، أما من ناحية التخطيط الإستراتيجي فقد رسم "سفرسكي" خريطة كونية للعالم، ووضع فيها دائرتين صغيرتين تمثل الأول القلب الصناعي للإتحاد السوفياتي وتمثل الثانية القلب الصناعي للولايات المتحدة الأمريكية، وفي مستوى أعلى منهما رسم "سفرسكي" دائرتين كبيرتين متداخلتين تمثل الأولى منطقة سيادة وسيطرة القوة الجوية للإتحاد السوفياتي، وهي التي تضم الجزء الأكبر من قارة إفريقيا وجميع جنوب آسيا والحافة الشمالية من أستراليا، بينما تضم الدائرة الكبيرة الثانية منطقة سيادة وسيطرة القوة الجوية للولايات المتحدة الأمريكية التي تشمل الأمريكيتين الشمالية والجنوبية والمنطقة

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص ص. 263 - 264.

الأطلسية إلى حدود المحيط الهادي، وبين الدائرتين الكبيرتين هناك منطقة تداخل بين النفوذ السوفياتي والأمريكي أطلق عليها اسم "منطقة القرار/ المصير Area of Decision" بسبب محورية هذه المنطقة وثقلها الإستراتيجي في نظام توازن القوى الإستراتيجي الكوني¹، وتتمثل منطقة التداخل أي القرار أو المصير في منطقة "السويداء" في أوراسيا وأوروبا البحرية وشمال إفريقيا والشرق الأوسط²، بحيث أنه من وجهة نظر "سفرسكي" من يسيطر على هذه المنطقة يستطيع السيطرة والتحكم في العالم ككل ويهيمن على ميزان القوى العالمي، وهذا يعني أن هذه المنطقة ستبقى مجالاً للتنافس الحاد بين القوتين العظميين في العالم³، وقد خرج "سفرسكي" بهذه الآراء:

1 - من يملك السيادة الجوية يسيطر على مناطق تداخل النفوذ (منطقة القرار/ المصير).

2 - من يتحكم بمنطقة القرار/ المصير يسيطر على العالم⁴.

ونظراً لأهمية خطورة مناطق التداخل الجوي في نظرية "سفرسكي" فقد قدم على أساسها

تحليلاً لمناطق التداخل الإستراتيجية كالاتي⁵:

1 - **منطقة القطب الشمالي:** تعد أخطر المناطق المتداخلة وأكثرها حساسية لأنها تمثل دائرة عظمى تصبح فيها الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي في ذلك الوقت أشد إقتراباً إحداهما من الأخرى من أي مكان آخر، وهي ملائمة للقوات الجوية من طائرات وصواريخ ولا يمكن لأي دولة أن تسيطر عليها إلا عن طريق القوة الجوية، فالدولة التي تملك السيادة الجوية تستطيع أن تسيطر على منطقة القطب الشمالي⁶.

2 - **غرب أوروبا وإفريقيا:** تبلغ مساحة دول غرب أوروبا نحو مليون ميل مربع، فهو قليل العمق الإستراتيجي وهو مكتظ بالسكان، أما إفريقيا التي تقع إلى الجنوب من غرب أوروبا فعلى العكس تبلغ مساحتها 11.5 مليون ميل مربع، وذات عمق إستراتيجي كبير وهي منطقة ذات تمايز

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 264.

2 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 130.

3 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 264.

4 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 130.

5 - نوار محمد ربيع الخيري، مرجع سابق، ص. 191.

6 - نفس المرجع، ص. 191 - 192.

سكاني، فيمكن القول بأن قارة إفريقيا هي مفتاح الدفاع عن غرب أوروبا خاصة وأنه لا يفصلها سوى البحر الأبيض المتوسط الذي يقوم بمثابة حاجز أمام تحرك القوات البرية وليس أمام القوات الجوية، ومن أجل هذا يعد غرب أوروبا مع إفريقيا منطقة إستراتيجية واحدة ومسرح تكتيكي واحد تحت اسم "أوروا إفريقيا Eurafica" حيث تتركز القوات الدفاعية في القسم الشمالي (أوروبا) بينما تتركز القوات الهجومية في القسم الجنوبي (إفريقيا) الذي يتوافر فيه العمق الإستراتيجي¹.

3 - العالم العربي والشرق الأوسط: تعد هذه المنطقة ذات موقع جغرافي فريد إذ تمثل جسر أرضي (Land bridge) يربط بين آسيا وإفريقيا وأوروبا، ويزيد من أهمية هذا الموقع ما يتمتع به من الموارد الطبيعية والثروة الإقتصادية الوفيرة، ومن الناحية الإستراتيجية يعد العالم العربي مفتاح الدفاع عن إفريقيا، كما أن إفريقيا هي مفتاح الدفاع عن أوروبا، فالعالم العربي هو القاسم المشترك الأهم والأكبر في الدفاع عن إفريقيا وأوروبا².

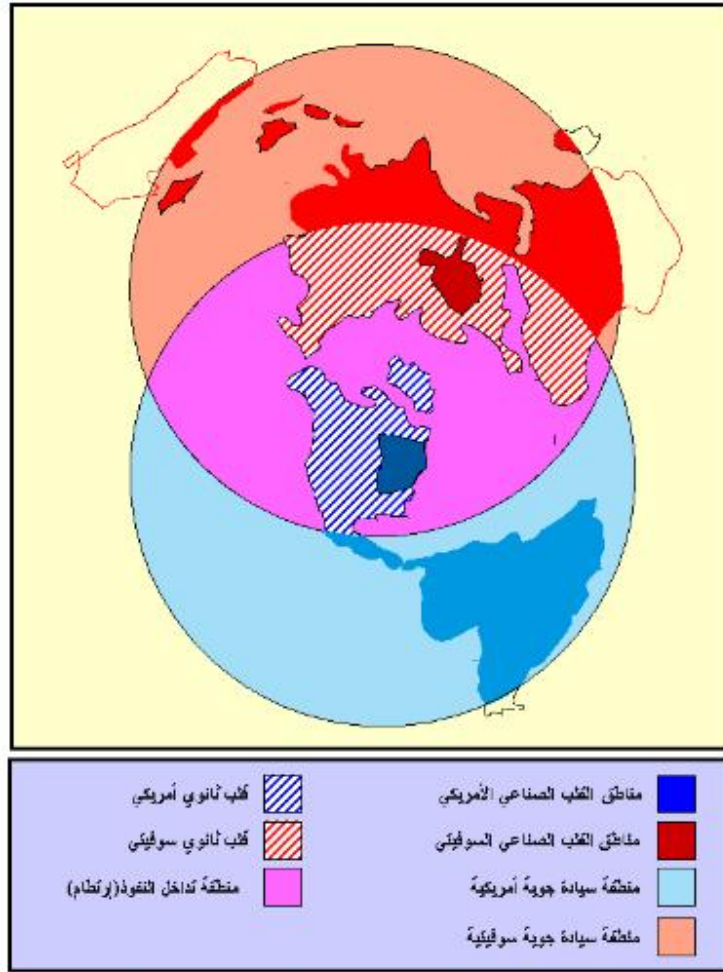
4 - آسيا الشمالية الشرقية: تشبه غرب أوروبا من حيث صغر المساحة والإكتظاظ بالسكان، وتعد اليابان وفورموزا وكوريا وأوكيناوا من أخطر المناطق في هذا الجزء من العالم، وذلك لقربها من الإتحاد السوفياتي - سابقا - والصين³. (أنظر الخريطة رقم 06).

1 - نوار محمد ربيع الخيري، مرجع سابق، ص. 192.

2 - نفس المرجع، ص. 192.

3 - نفس المرجع، ص. 192.

خريطة رقم 06: نظرية القوة الجوية سنة 1949 لـ "سفرسكي"



المصدر: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria6/OsosAmnWat/map04.GIF_cvt.htm

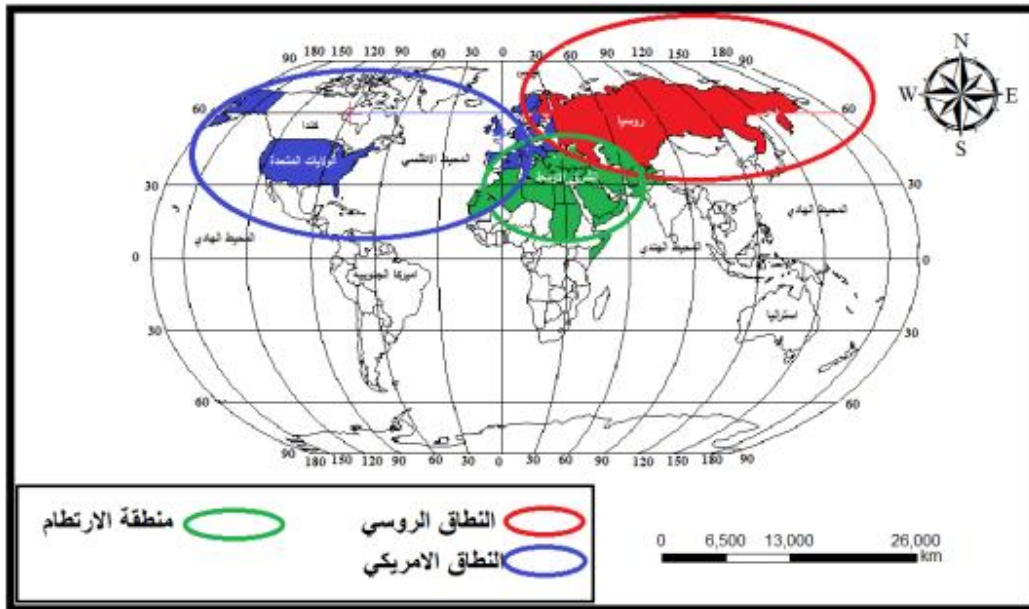
لقد رسم "سفرسكي" هذه الخريطة بجعلها ذات مسقط قطبي وضع فيها الأمريكتين جنوب القطب وأورو آسيا وإفريقيا في شمال القطب، وعلى هذا فإن أول تقسيم استخدمه "سفرسكي" هو التقسيم المتعارف عليه: العالم القديم والعالم الجديد، وفي هذه الخريطة يتضح أن السيادة الجوية الأمريكية تشتمل على كل الأمريكتين، بينما منطقة السيادة الجوية السوفيتية تغطي جنوب وجنوب شرق آسيا وإفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى¹.

1 - محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة والنشر، 2014)، ص. 81.

لكن منطقتي النفوذ الجوي تتلاقيان وتتصادمان في مناطق أخرى هي أوروبا الغربية وشمال إفريقيا والشرق الأوسط، فضلا عن أن نفوذ القوة الجوية السوفياتية يغطي أمريكا الشمالية، وبالمثل تغطي القوة الجوية الأمريكية الهارتلاند الأورو آسيوي، حيث يرى "سفرسكي" أن مناطق تداخل القوى الجوية للدولتين هي مناطق الحسم في أي معركة بينهما، ومن ثم فإن "سفرسكي" يرى للقوة الجوية الأثر الحاسم في كسب السيطرة أو السيادة على العالم¹.

خريطة رقم 07: منطقتي النفوذ الجوية السوفياتية والأمريكية ومنطقة التلاقي والتصادم حسب نظرية

"سفرسكي"



المصدر:

<https://ibtisamalikabi.wordpress.com/2018/05/05/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%82%D9%84%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B1%D8%B6-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%BA%D8%B1%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A7-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B6%D8%A7%D8%A1/>

وقد أوصى "سفرسكي" الولايات المتحدة الأمريكية بأن تبني لها قوة جوية ضاربة، وقد عرض خبرته كطيار واقترح إنشاء إستراتيجية جوية أمريكية جديدة تتماشى مع تطور السلاح التكنولوجي في مجال الطيران على الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تبنت وطبقت اقتراحاته في السيطرة الجوية على القطب الشمالي والمنطقة القطبية وذلك بإيجاد سلاح جوي كبير قوي ذي امتيازات متطورة،

1 - محمد رياض، مرجع سابق، ص. 81.

وكذلك بناء خط رادار يمتد على شكل قوس مبتدأ من ألاسكا إلى شمال كندا، فشبّه جزيرة لبرادو فجزيرة نيوفا وندلاند فجزيرة غرينلاند فجزيرة آيسلندا، وفعلا فقد أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية الخط الراداري وأسمته (D.E.W) وهو اختصار لـ "Distance Early Warning" أي خطر الإنذار المبكر، والذي له قابلية المعرفة والتحقق المؤكد بتحركات القوات الجوية السوفياتية آنذاك بمختلف أنواعها بوقت قليل من بدء تحركها حتى يعطي الإنذار للولايات المتحدة الأمريكية ضد أي هجوم مباغت أو مفاجئ، ومن جانبه لم يتجاهل الإتحاد السوفياتي - في ذلك الوقت - في إستراتيجيته العسكرية أهمية أسس تلك النظرية خاصة في مجال الرد على التحرك الطبيعي الذي مارسته الولايات المتحدة الأمريكية في الحد من توسع المنطقة المركزية، وكذلك في مجال الرد على نظرية الأطراف، فأوجد - أي الإتحاد السوفياتي - حلف وارسو كحلف عسكري دفاعي كرد على ما يقوم به المعسكري الغربي تجاهه، واتبع سياسة كسر الطوق العسكري وتطويقه¹.

والى جانب تقديم "سفرسكي" توصيات وإرشادات؛ فقد انتقد السياسة الأمريكية الخاصة بإشغال الحروب الإقليمية كما في فيتنام والشرق الأوسط، والحقيقة أن "سفرسكي" لم يكن يتوقع أنه بعد عام 1950 بأن دولا كثيرة ستصل إلى إمكانات التدمير الشامل، خاصة بعد بروز الأسلحة النووية على مسرح التسليح العسكري ودخولها مجالات القوى الثلاث البرية والبحرية والجوية، عن طريق الصواريخ المحمولة والقاذفات وحاملات الطائرات والغواصات وغيرها، كما أن سلاح الجو لا يمكن عده بعدا ثالثا في مجال القوى طبقا لوجهات نظر بعض المختصين فهو عنصر حماية وتغطية للقوات البرية والبحرية في الهجوم كما هو الحال في الدفاع والتقدم والإنسحاب².

ب - كارل فون كلوزويتز "Carl Von Clausewitz" (الأرضية النظرية الأولى):

من الناحية الإبتيمولوجية يرجع الفضل في طرح مصطلح "المراكز الإستراتيجية أو مراكز الثقل Centers of Gravity" إلى المفكر الإستراتيجي الألماني "كارل فون كلوزويتز Carl Von Clausewitz" في بداية القرن التاسع عشر، وكان الإعتقاد السائد آنذاك هو أن مركز الثقل لأي عدو يكمن في بقاء قواته البرية، ومن ثم فاستسلامه مرهون بتدمير قواته البرية على افتراض أن

1 - نوار محمد ربيع الخيري، مرجع سابق، ص. 193.

2 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 130 - 131.

هزيمة الجيش يعني بقاء السلطة السياسية وإقليم الدولة بدون حماية، مما يعني الاستسلام والانتزاع بانتهاء الحرب، حيث تعتبر مراكز الثقل محور كل قوة وحركة في النظام السياسي وقواته العاملة المختلفة التي يتوقف عليها عمل النظام أو الدولة ككل، وهذا يعني من الناحية الإستراتيجية أن مراكز الثقل هي الأهداف الأكثر حيوية في الحروب، لذلك يجب - من منظور كلوزويتز - أن يكون الإنتباه مركزا على تمييز مراكز الثقل في قوات العدو وعلى تحديد مجالات تأثيره، ومن ثم فإن الافتراض العام الذي تقوم عليه فكرة مركز الثقل هو أن ربح الهدف الكبير سوف يؤدي بالضرورة إلى كسب الصغير منه، وفي مقابل ذلك البدء بالهدف الصغير أو الهامشي يمكن أن يترتب عنه مخاطرة في تضييع الجهد وخسران الحرب، وعادة ما توجد مراكز الثقل أين يتركز السكان بشكل كثيف، وأيضا المكان الذي تتركز فيه قوات العدو، حيث أنه من خلال الأدبيات التي تركها "كلوزويتز"؛ ساد اعتقاد لدى الاستراتيجيين أن مركز الثقل تعني لديه قوات العدو البرية بشرط أن تتوفر على خاصية القابلية للعطب أو التدمير "Vulnerability"، إذ تتطلب هذه الخاصية بدورها أن يكون هناك تفوق في القدرة الهجومية¹.

تجدر الإشارة هنا إلى أنه عندما يتم النظر بعمق إلى عناصر القوة في الحرب، فإنه ليس بالضرورة أن تكون مراكز الثقل عسكرية بحتة، وإنما يمكن أن تكون مدنية تدعم المجهود العسكري أو تشكل عصب حركة وحيوية النظام السياسي والدولة كمثال خطوط الإتصال وخطوط التموين والسدود وآبار النفط وغيرها، كما يمكن أن تكون مراكز الثقل متمثلة في التحالف المعادي وقادة الدولة السياسيين والعسكريين والمدن الرئيسية خاصة ذات الطابع الاقتصادي والمرتبطة بمعنويات الشعب، فمن خلال الأمثلة التاريخية يرى "كلوزويتز" أن هناك حالات تكون فيها السيطرة على مدينة معينة كافية لإلحاق الهزيمة بالعدو إذا كان جيشه ضعيفا، في حين أن هناك حالات أخرى لا يتحقق فيها النصر إلا بالسيطرة على كامل إقليم العدو إذا كان يملك جيشا قويا كما في حالة بروسيا في عام 1807م، حيث لا يتم ذلك إلا بتدمير الجيش كاملا، كما يمكن أن تتضمن قائمة مراكز الثقل أيضا؛ التحالفات السوسيو-عرقية وتحالفات جماعات المصالح المحلية والقبلية والرأي العام بالنسبة للدول الديمقراطية التي يكون للرأي العام دور كبير في سير المعارك وصياغة

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 265.

السياسات، وعلى هذا الأساس يجب على المخططين الإستراتيجيين أن تكون لهم دراية كبيرة ومعلومات كافية حول طبيعة العدو ومراكز ثقله وخاصياته الوطنية مادامت أنها تختلف من دولة لأخرى، ويقومون بانتقائها بعناية وتوجه لها الجهود العسكرية¹.

ولقد قام "جاسن برلو Jason B. Barlow" بتلخيص الحرب عند "كلوزويتز" في ثلاثة نقاط رئيسية هي كالتالي:

- 1 - التمكن من تدمير جيش العدو خاصة القوات البرية ومعداتنا الثقيلة.
- 2 - القيام بالاستيلاء على العاصمة وكل المؤسسات الحيوية في بقاء النظام السياسي.
- 3 - توجيه ضربة فعالة لحليفه الرئيسي بشكل يشل إمكاناته ويمنع أي احتمال لإقامة خطوط الإمداد.

إذ تشير هذه المكونات إلى أنه يمكن أن يكون لدى العدو الواحد أكثر من مركز ثقل، فمثلا يعتقد "كلوزويتز" أن مراكز ثقل فرنسا هي الجيش والعاصمة باريس، ولذلك عندما هزم "أتو فون بسمارك" الجيش الفرنسي عام 1871م لم يوقف الحرب حتى دخل العاصمة باريس وفرض معاهدة الإستسلام².

ج - "بارون هنري جوميني Jomini Baron Antoine Henri" (النقاط الإستراتيجية الحاسمة) لا تقل أهمية أفكار المنظر الإستراتيجي "بارون هنري جوميني" أهمية عن أفكار "كلوزويتز"، إذ أنه كان متأثرا كثيرا باستراتيجيات "نابليون بوناپرت" الحربية، فهو قد استعاض عن فكرة "مراكز الثقل" بفكرة "النقاط الإستراتيجية الحاسمة Decisive Strategic Points" حيث تعني تلك الأهداف التي إذا ما تمت السيطرة عليها أو تدميرها تحقق النصر أو يتم ضمان مخرجات الحرب المرغوبة، وهذا يعني أنه على المخطط الإستراتيجي البحث عن النقاط الإستراتيجية الحاسمة لدى العدو وتدميرها بشكل شامل قدر المستطاع، أو على الأقل إعاقتها عن الحركة والعمل³.

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 265.

2 - نفس المرجع، ص. 266.

3 - نفس المرجع، ص. 266.

ومن خلال هذه التسمية "النقاط الإستراتيجية الحاسمة Decisive Strategic Points"؛ يوجه "جوميني" انتباه الإستراتيجيين إلى أنه ليست كل الأهداف بنفس الدرجة من الأهمية، ولا بد عندئذ من الاقتصاد في العمليات العسكرية بأن تركز على الأهداف الحاسمة التي باستهدافها تضعف العدو أو تشله أو تقنعه بالاستسلام، حيث أنه يمكن تحديد الأبعاد الإستراتيجية والملاحم المهمة للأهداف من خلال الموقع الجغرافي وأهميته بالنسبة لخطوط الإتصالات، وما إذا كانت تحتوي المقرات الحكومية والمؤسسات الحساسة أو لا، وبصفة عامة تعتبر العاصمة هدفا إستراتيجيا لاحتوائها على المقرات المركزية للدولة والمؤسسات الحكومية، أما من الناحية التاريخية فهذه الأفكار مأخوذة من إستراتيجيات "تابليون بونايرت" الذي كان يعتقد بأن أحسن أدوات تحقيق أعظم النتائج في المعارك هي تدمير جيش العدو، فعندئذ تسقط الدول والمقاطعات والمراكز الحيوية للنظام السياسي بنفسها عندما لا تجد قوة منظمة تحميها¹.

د - "جوليو دوهات Giulion Douhet" (المراكز الحيوية ودور القوة الجوية):

ينحدر "جوليو دوهات Giulion Douhet" (1869م - 1930م) من عائلة إيطالية عسكرية، حيث عمل كضابط مدفعية محترف في الجيش الإيطالي، ومن بين المهام التي كلف بها؛ تعيينه كقائد للكتيبة الإيطالية للطيران الأولى قبل الحرب العالمية الأولى، إضافة إلى ميوله نحو متابة الشعر والتعبير عن آراءه الإستراتيجية، كما أنه صاحب شخصية تتميز بميوله نحو إعلان أفكاره ومخالفة مسؤوليه مما عرضه إلى محاكمة عسكرية خلال الحرب العالمية الأولى وسجن بموجبها لمدة سنة، إلا أن مجريات الحرب وخاصة معركة "كابوريتو Caporetto" قد بينت صواب رأيه فتمت تبرأته، وعندما صعد "بينيتو موسوليني Benito Mussolini" إلى الحكم في إيطاليا رد الإعتبار لـ "دوهات" وكانت آخر وظائفه في الجيش شغله لمنصب مسؤول النشر عام 1921م². ويمثل "جوليو دوهات Giulion Douhet" إحدى حلقات تطور الفكر الإستراتيجي الحديث حول دور القوة الجوية في الحروب الحديثة، وحول نظرية أولوية القوة الجوية عموماً، إذ بدأ الكتابة في الفكر الإستراتيجي منذ ظهور الطائرة كأحدى المتغيرات المستقلة الحاسمة في الحروب

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص ص. 266 - 267.

2 - نفس المرجع، ص. 267.

الشاملة وذلك في عام 1910، وعندما إندلعت الحرب العالمية الأولى في عام 1914م انضم إلى فرقة المشاة كضابط في منصب غير مهم، إلا أن هذا التهميش لم يثبطه عن الكتابة وإبداء آراءه حول الحرب وبناء الإستراتيجيات العسكرية، مما أدى به إلى محاكمة عسكرية ودخوله السجن عام 1916م، وقد قضى حياته كمنظر إستراتيجي متخصص في التنظير حول دور القوة الجوية في الحروب الحديثة، حيث تمت ترجمة أفكاره وأعماله العلمية إلى العديج من اللغات منها الإنجليزية، إذ كانت له العديد من الأعمال العلمية منها:

- 1 - كتابه "السيطرة على الجو Command of the Air" الذي نشر عام 1926.
 - 2 - "الجوانب المحتملة لحرب المستقبل The Probable Aspects of the War of the Future" أصدره في عام 1927 وهو عبارة عن مراجعة للعمل السابق.
 - 3 - مجموعة من المقالات جمعها تحت عنوان "خلاصة Recapitulation" والتي نشرت في مجلة "Rivista Aeronautica".
 - 4 - كتاب "حرب 19 - 19 The War of 19 - 19" وهو عبارة عن تفسير خيالي للحرب المستقبلية بين ألمانيا والتحالف الفرنسي البلجيكي¹.
- الإفتراضات العامة لـ "جيليو دوهات Giulion Douhet":**

تقوم الصياغة النظرية حول الإستراتيجية العسكرية لـ "دوهات" على مجموعة من الإفتراضات هي كالتالي:

- 1 - للقوة الجوية دور هجومي أكثر منه دفاعي في الحروب الحديثة، وأداتها الرئيسية هي القصف الإستراتيجي لمراكز ثقل العدو.
- 2 - يفترض في كل الحروب الحديثة أن تكون شاملة وأكثر دموية، ومن ثم ضرورة البحث في أدوات كبحها والتقليص من آثارها المأساوية المادية والإنسانية.
- 3 - لا تصمد المعنويات المدنية التي تعضد القوات المنخرطة في جبهات القتال طويلا، وإنما هي غير مستقرة، وبالتالي هي أهداف مغرية ورخوة في نفس الوقت لحملات القصف الجوي.

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص ص. 267 - 268.

4 - تتميز الحروب البرية بالطابع الدفاعي بشكل ثابت مقابل الميزة الأساسية الهجومية للقوة الجوية¹.

لقد كان "دوهات" أول من فكر واهتم بطرح آراءه في القوة الجوية وتفوقها، والهدف الذي كان ينشده هو إيطاليا، إذ استوعب مسألة أمن إيطاليا ومنزلتها كقوة أوروبية والتي لا ترقى إلى مكانة القوى الكبرى، كما أدرك المقيدات التي يضعها الواقع الاقتصادي لإيطاليا على سياستها ودورها وسلوكها، فملاحظات "دوهات" عن الأوضاع المحلية والدولية لإيطاليا بعد الحرب العالمية الأولى جعلته ينصح قادتها إلى اعتماد بناء قوة جوية، وقد إستندت أطروحة "دوهات" على عدد من الآراء الأساسية وهي:

1 - إن طبيعة إستراتيجية القوة الجوية تتطلب الأخذ بمبدأ السيطرة على الجو.

2 - إن الدولة التي تستطيع قواتها تحقيق السيطرة على الجو تحسم الحرب لصالحها².

فالسيطرة في تقدير "دوهات" لا تعني إن على المسيطر على الجو أن يمنع خصمه من التحليق؛ بل إن امتلاك السيطرة على الجو يعني أن تكون في الحالة التي تقدر فيها حرمان الخصم من التحليق، في حين تحتفظ بقابلية التحليق لنفسك، وقد عالج "دوهات" هذه المسألة من خلال عدد من المبادئ وهي:

1 - إن الطريقة المثلى لتحطيم القوات الجوية للخصم هي ضربه وهو في قواعده.

2 - أن تضع الدولة كل جهدها من أجل إلحاق خسائر فادحة بالعدو.

3 - أن يكون الغرض تحطيم الهدف كلياً في هجوم واحد، ولا يستدعي هجوماً آخر على الهدف نفسه³.

وبصفة عامة يمكن القول أن الافتراض العام الذي تقوم عليه أفكار "جوليو دوهات" والتي نشرت عام 1921م هو أن السيطرة على الفضاء الجوي سوف يجعل كل شيء يملكه العدو ويتمتع به كامتياز إستراتيجي عرضة للهجوم، وهذا يقتضي ضمناً - من منظوره - أن الهدف

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 268.

2 - نوار محمد ربيع الخيري، مرجع سابق، ص. 186.

3 - نفس المرجع، ص. 187.

الرئيسي أمام المخطط الإستراتيجي هو تدمير قوات العدو الجوية سواء العتاد أو المنشآت التحتية الثابتة والعائمة في البحار والمحيطات، والذي بواسطته يتم فتح الفضاء الجوي أمام القوات الجوية لتستكمل الإستراتيجية بشكل كامل، وليس بالضرورة في كل الحالات أنه لا بد من تدمير قوات العدو الجوية، قد يكون في حالات معينة الإكتفاء بتحبيدها وإعاقتها عن الإنخراط في المعارك أو دعم القوات البرية، ومن الأمثلة الحديثة في ذلك؛ ما حدث في الحرب الإسرائيلية المصرية عام 1967م وفي الحرب الأمريكية العراقية عام 1991، ففي الحالة الأولى تم تدمير القوة الجوية، وفي الحالة الثانية تم تحبيدها، إذن من منظور "جوليو دوهات" فإنه لا بد في الحرب من السيطرة على الفضاء الجوي للعدو بواسطة مهاجمة قواته أرض جو، ومصانع الطائرات والمطارات ومواقع إخفاء الطائرات والعتاد كمرحلة أولى ضرورية باعتبارها شرطا أساسيا لكسب نتائج الحرب وحسمها بشكل سريع ومقتصد، بمعنى آخر فإنه بتحقيق السيطرة على الجو يحدث التأثير الحاسم على نتيجة الحرب ومخرجاتها النهائية، وعليه فالجانب الجذاب والمغري في هذه الإستراتيجية هو أنها سريعة وغير مكلفة اقتصاديا وبشرىا وتعد بالنصر الحاسم والسريع، وبالتالي تقوم على تقليص أمد الحرب لصالح الطرف المتفوق جويا؛ كما تعد بعدم التسبب في قتل الآلاف من البشر أو التسبب في الإبادة البشرية، ففي اعتقاد "جوليو دوهات" أن الدولة التي تفقد السيطرة الجوية وتجد نفسها عرضة لهجمات جوية متواصلة موجهة مباشرة إلى مراكزها الحيوية وبدون توفر إمكانية القيام بالرد الإنتقامي الفعال، فإن هذه الدولة سواء كانت تملك قوات برية فعالة وضاربة أو لا؛ فإن كل إستراتيجياتها الدفاعية منها أو الهجومية هي في حكم الشلل التام والإستنزاف التدريجي، ومن ثم تفرض عليها الهزيمة بشكل تلقائي، وبناءً على ذلك فإن إستراتيجية "دوهات" في الحرب قائمة على إمكانية السيطرة الجوية على مجال العدو الجوي التي سوف تؤدي بنا إلى توقع النصر الحاسم عليه والسريع والتحكم إلى درجة ما في مخرجات الحرب، على اعتبار أن الوضع سوف يكون جد مأساوي عندما تنهار السيطرة الجوية وتصبح القوات المسلحة والسكان المدنيون مكشوفين تحت القصف الجوي المستمر بدون توفر رادع فعال لصدده، وسوف تنهار المعنويات

على كل المستويات إلى حدها الأدنى ويحدث النزوح إلى البلدان المجاورة جراء القصف أو تعم الفوضى نتيجة لانعدام شروط الحياة كانتشار السرقة وسيطرة العصابات الإجرامية¹.

الخلفية النظرية لأفكار "جوليو دوهاث":

يرى "جوليو دوهاث" أن الهجوم الجوي المبكر والمبادر على مراكز الثقل الحيوية للعدو، يمكن أن يؤدي إلى كسب النصر الإنساني السريع، في مقابل ذلك يمكن للقوات البرية أن تحتوي العدو عسكرياً في معركة أكثر دموية، ويعني بالنصر الإنساني ذلك النصر الذي يتميز بأنه أقل كلفة ومضمون النتائج وأكثر حسماً وفعالية في تحييد قوات العدو عن الإنخراط في معارك برية دموية طويلة غير معروفة النتائج².

إن "دوهاث" قد صاغ هذه الأفكار حول إستراتيجية الحرب الحديثة في سياق التجارب المؤلمة للإنسانية في حروب القرن التاسع عشر وحروب بداية القرن العشرين البرية، ولا يعني هذا أنه لا تكون هناك إصابات أو دماء في حرب عصر التفوق الجوي، ولكنها تكون أقل دموية بالنظر إلى الحروب البرية التقليدية وأقل كلفة وأقصر زمناً بالنسبة لـ "دوهاث"³.

إن من الدروس التي استقاها "دوهاث" من الحرب العالمية الأولى، هي دور التكنولوجيا كمتغير حاسم في الحروب القادمة، خاصة دور الطائرة التي بينت أنها تستطيع تخطي الكثير من الحدود والعوائق التي تعترض القوات الزاحفة على الأرض، إذ تستطيع الطائرات التحليق فوق الخنادق والجبال والأنهار التي تعترض الجيوش، وتوفر إمكانية قصف المراكز الحيوية لدولة العدو مثل الصناعات الرئيسية والبنيات التي تسمح للدولة بالعمل، المحمية بواسطة الجيوش والحصون التي تقع وراء خطوط العدو، وبسبب المرونة العالية في المناورة التي تتمتع بها الطائرة، فقد أصبح لديها امتياز المفاجأة التكتيكية، وهذا يعني بدوره أنها لا يمكن أن تكون مخترقة أو يتم إيقافها كما هو الشأن مع القوات البرية، وبناءً على ذلك نادى "دوهاث" بخلق قوة جوية مستقلة تملك طائرات لها وظيفة قصف الأهداف والدفاع الذاتي، وتكون هذه القوة منفصلة عن سيطرة

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 269.

2 - نفس المرجع، ص. 269.

3 - نفس المرجع، ص. 269 - 270.

الجيش أو البحرية، كما تكمن أهمية الطائرة أيضا في تفكير "دوهات" الإستراتيجي في التأثير المعنوي أو السيكولوجي على نتائج الحرب النهائية، إذ يعتقد أن للقصف الجوي تأثيرات معنوية بالغة على العدو أكثر من التدمير الفيزيقي بواسطة القوات البرية، لذلك نادى باستخدام القنابل الغازية والحارقة ضد المراكز السكانية الكبرى للعدو، اعتقادا منه أن مثل هذه الهجمات سوف تسبب الرعب الذي يجعل السكان يطالبون حكومتهم بإنهاء الحرب، ومن الناحية العملية لا بد أن تسبق عمليات القصف أي محاولات اشتباك بري دموي طويل، ولا يكون ذلك متاحا إلا بواسطة بناء قوة جوية مستقلة يكون لها دور أساسي وليس ثانوي¹.

ومن منظور "دوهات" لا يمكن أن تحقق الحملة الجوية أهدافها وفق ما هو مصمم له من الناحية النظرية من قبل المخططين الإستراتيجيين، ما لم يتوفر شرط ربح السيطرة على الجو والتفوق الجوي على العدو بواسطة مهاجمة القوة الجوية للعدو على الأرض في المطارات والمعامل والمواقع العائمة عبر البحار والمحيطات (على سطحها وفي عمقها)، وهنا تبرز الخاصة المميزة للقوة الجوية، وهي أنها هجومية في جوهرها، بسبب توفر إمكانية كبيرة للطيارين للتحليق فوق أرض العدو بشكل مستمر ومتواصل والوصول بشكل مباشر إلى قلب قوة العدو وتدمير مراكز ثقله أو إعطابها وشلها عن الحركة والعمل، ومن ناحية أخرى فإن الأداء الجيد للقوة البحرية ضد أهداف العدو على افتراض أساسي مؤداه أن من يسيطر على الجو هو الذي سوف يكسب الحرب ويتحكم في مخرجاتها النهائية، ومن الناحية العملية فالغاية من السيطرة على الجو - من منظور "دوهات" - هي معاقبة المدنيين الداعمين للقوات البرية المنخرطة أو التي تتأهب للإنخراط في الشبكات البرية من أجل تصعيد استيائهم وقلب معنوياتهم بشكل يؤدي بهم إلى الإنقلاب على حكومتهم ومطالبتهم بإنهاء معاناتهم².

ومن الناحية التنظيمية يقترح "دوهات" أن القوة الجوية لا يمكن أن تقوم بدورها المتوقع منها إذا بقيت على النمط التنظيمي التقليدي المتمثل في اعتبارها طرفا ثانويا أو قوة تابعة للقوات البرية، وإنما لا بد من أن تنظم بشكل تصبح فيه قوة تمارس دورها بشكل مستقل، بمعنى أن يكون

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 270.

2 - نفس المرجع، ص. 270 - 271.

لها الدور الأولي في تحديد مسار الحرب وحسم مخرجاتها، دون الحاجة لضرورة التقدم على مستوى الحرب البرية أو في البحر، على افتراض أن استقلالية القوة الجوية تساهم في أن تحقق الهدف في فترة قصيرة دون الحاجة إلى الإشتباكات البرية، ومن ثم يصبح دور القطاعات الأخرى من القوات العسكرية المسلحة محددا فقط في الحماية والدفاع إن اقتضت الضرورة من وجهة نظر "جوليو دوهات"¹.

ومن الناحية التقنية واستخدام العتاد، يرى "دوهات" أن نظرية القوة الجوية لا تقتصد فقط الخسائر في المجال الاقتصادي والبشري، ولكن كذلك من حيث الأدوات والآليات العسكرية التي سوف تستخدم في الحملة الجوية، ومن ثم فإن النموذج الوحيد المطلوب في حملة القصف الإستراتيجي لمراكز ثقل العدو هو الطائرة المقاتلة، التي يجب أن تتوفر على مجموعة من الخاصيات التكنولوجية منها السرعة الشديدة والمرونة العالية والتجهيزات الإلكترونية في التصويب وكشف الأهداف والهجمات المعادية، وبصفة عامة من وجهة نظر "دوهات" يجب أن تجمع الطائرة القائمة بالقصف بين التفجير العالي وعمليات الحرق وقنابل الغاز ليكون لها تأثير متزامن، والقدرة على التملص من القصف المرتد للدفاعات الأرضية أو البحرية².

"جوليو دوهات" والمراكز الحيوية:

إن لـ "دوهات" مصطلحه الخاص به في التعبير عن الأهداف الحيوية التي يجب أن تكون محل اعتبار وعناية من قبل المخططين الإستراتيجيين للعمليات العسكرية، وهو المسمى بـ "المراكز الحيوية Vital Centers"، وعندما يطلق هذا المصطلح فهذا يعني أن هناك أهدافا حيوية وغير حيوية للعدو، ولذلك يجب على الإستراتيجي الذكي تحديد الحيوي منها وبناء الخطة عليها بشكل تصبح واضحة للعناصر أو القيادات التي سوف تشرف على عملية تنفيذها، ومع تطور التكنولوجيا المعقدة لدى سلاح الجو، فإنه من السهل تصويب القصف عليها وتدميرها بشكل يؤدي إلى تحقيق أهداف الحملة المرغوبة³.

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 271.

2 - نفس المرجع، ص. 271.

3 - نفس المرجع، ص. 272.

وتعني "المراكز الحيوية" حسب "دوهات": تلك الأهداف التي إن هوجمت سوف تشل المقاومة المادية والمعنوية للعدو، إنها تلك الأهداف القابلة للعطب وفي نفس الوقت لا تتمتع بتحصينات أو خطوط دفاعية بحكم طبيعتها، وتقع في مجالات خلف خطوط العدو، وعلى هذا الأساس لا بد أن تذهب الإستراتيجية العسكرية إلى ما وراء حقل المعركة، أين توجد الأهداف التي لها علاقة غير مباشرة بالعمل العسكري وبنتيجة أرض المعركة، إلا أن إعطابها يعتبر مدخلة حاسمة وحيوية لنتيجة الحرب، وقد عدد "دوهات" هذه المراكز الحيوية للعدو في مجموعة من العناصر هي كالتالي:

- 1 - صناعات العدو المركزية ومراكز الإنتاج والتخزين المدنية والعسكرية.
- 2 - مراكز التجمعات السكانية الكبيرة وخاصة المحددة في المدن الكبرى، ويأتي على رأسها العاصمة.
- 3 - خطوط الإتصالات والنقل، سواء ما تعلق منها بالإتصالات السلكية واللاسلكية والإلكترونية أو الطرق السريعة الرابطة بين المدن الكبرى والجسور والمطارات والموانئ البحرية ومحطات النقل.
- 4 - الموارد الهيدروليكية المتمثلة أساسا في محطات الإنتاج الكهربائي وحقول النفط والسدود الكبرى وغيرها.
- 5 - محطات السكك الحديدية وخطوطها الطويلة والسريعة ومخازن التموين الغذائي الضرورية للقوات المسلحة والسكان المدنيين على حد سواء.
- 6 - مناطق التخزين العسكري، فيما يتعلق بالعتاد الحربي والذخيرة ومخازن الطائرات والمعدات الثقيلة¹.

كما يعتقد "دوهات" أنه بواسطة قصف المراكز الحيوية الأكثر ثقلا، يمكن أن ينتشر الخوف عبر البلاد بسرعة ويكسر مقاومة العدو المادية والمعنوية، وأن أكثر الأهداف رخاوة وسهولة في القابلية للعطب وأكثرها حيوية في التأثير على نتيجة الحرب هي أهداف العدو المدنية، بمعنى آخر أنه لكسر إرادة العدو لا بد من وضعه في ظرف غير متسامح، وأحسن طريقة للقيام بذلك

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 272.

هو الهجوم بشكل مباشر على السكان العزل في مدنه ومراكزه الصناعية الكبرى، من أجل كسر مقاومة العدو المادية والمعنوية دائماً من وجهة نظر "دوهات"، وهذا يعني أن يعزل الإعتبارات الأخلاقية والإنسانية والقانونية عن العمل الحربي، وهو الوضع الغير متاح في الحروب الحديثة التي تجري تحت تصوير شاشات التلفزيون وأعين المرسلين الإعلاميين¹.

ومع التحديد النظري للمراكز الحيوية؛ يقر "دوهات" بصعوبة تحديدها من الناحية العملية خاصة أن بعض الأهداف الموجودة ضمن قائمة المراكز الحيوية، تختلف أهميتها من دولة لأخرى، فعلى سبيل المثال تعرض المدنيين للقصف سوف يعرض بدوره الموقف الأمريكي العسكري والسياسي للإنهيار بسبب حساسية السكان للحروب، وضغط الرأي العام وجماعات حقوق الإنسان، على عكس الروس الذين لا يتأثر موقفهم العسكري بسقوط ضحايا مدنيين أو عسكريين، بدليل أنه مات منهم في الحرب العالمية الثانية ما يزيد عن عشرين مليون فرد دون أن يتأثر موقفهم النفسي، وانتصروا على النازيين ووصلوا إلى برلين قبل الحلفاء، ومن ناحية أخرى فإن الأهداف تتغير بشكل مستمر في الحرب، ولذلك يتوقف اختيارهم على الغاية المقصودة سواء كانت السيطرة الجوية أو شل جيش العدو أو أسطوله البحري أو تحطيم معنويات المدنيين خلف خطوط القتال².

وبشكل عام، لقد ركز "دوهات" على فكرتين إستراتيجيتين أساسيتين هما:

1 - تدمير القوات الجوية للعدو من أجل تحقيق السيطرة الجوية وجعل الفضاء الجوي مفتوحاً وأمناً.

2 - مهاجمة مراكز العدو الحيوية الخاصة بالقوات المسلحة وشعبه والنظام السياسي، وأكثر الأهداف حيوية للعدو وأشدّها ثقلاً هي في المقام الأول القوات الجوية للعدو، وهذا يعني أن تدمير القوات الجوية للعدو هو شرط ضروري للإنهيار النهائي، وبالتالي هو عنصر كاف للسيطرة على العدو³.

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 272 - 273.

2 - نفس المرجع، ص. 273.

3 - نفس المرجع، ص. 273.

بمعنى أن أطروحة "دوهات" قد ارتكزت على افتراض أن القوات الجوية تتيح إمكانية السيطرة على الجو، وعند هذه الفكرة أي فكرة السيطرة على الجو يكون "دوهات" قد طرح بعدا ثالثا غير تقليدي كالبعد الأرضي أو البحري، وهذا البعد الجديد هو البعد الجوي أو المجال الجوي، حيث أن قيادة الجو حسبه والسيطرة عليه من خلال يأتي من خلال أهم المبادئ والافتراضات التي اقترحها، وهي:

1 - مبدأ القدرة على النيل من العمق الإستراتيجي للعدو وتدمير أهدافه: فالقوة الجوية لا تقصف فقط أراضي العدو وإنما تخرب دولته أيضا، إذ ستوجه الضربة الجوية ضد أهداف مهمة مثل الصناعات المدنية والمؤسسات التجارية والاقتصادية، ومراكز المواصلات ومراكز التجمعات السكانية.

2 - مبدأ الضربة الإستباقية: ويرى "دوهات" أن الطريقة لإضعاف العدو تكون بتدمير قواته الجوية قبل أن تسنح له الفرصة الكافية لشن هجوم.

3 - مبدأ الحرمان: يكمل ويرتبط بالمبدأ السابق، فحرمان العدو من الإستفادة من سلاحه الجوي بتوجيه ضربة استباقية له للتغلب عليه وكسر إرادته السياسية.

4 - مبدأ امتلاك السيطرة وانتزاعها من العدو يقود إليه مبدأ الحرمان: فيرى "دوهات" أن امتلاك السيطرة وفرضها على الجو تعني منع العدو من الطيران في الوقت الذي نحفظ فيه لأنفسنا بالقدرة على ذلك.

5 - مبدأ تأمين الكفاية الدفاعية: يرى "دوهات" أنه لكي يتم تأمين الدفاع الكافي من الضروري أن تكون الدولة في وضع يسمح لها في حال نشوب الحرب أن تنتزع السيطرة الدولية، وعليه يرى "دوهات" أن على الدولة تأمين الوسائل الكفوءة والفاعلة لانتزاع السيطرة على الجو في حالة نشوب الحرب¹.

هـ - "أ. ماكليش A.Macleish":

يعتبر "أ. ماكليش A.Macleish" أن ظهور عصر الطيران والفضاء كان له دور كبير في تشكيل مفاهيم جديدة في جغرافية العلاقات الدولية، حيث كانت له آراء نشرت عام 1942م

1 - نوار محمد ربيع الخيري، مرجع سابق، ص ص. 188 - 189.

بعنوان "توقع النصر"، حيث أشار فيه إلى الدور الذي بمقدور الطائرات أن تغير جغرافية العالم، والدور الذي تؤديه القوة الجوية في إحراز النصر، وسيطرتها على منطقة "السويداء (الهارتلاند)" وجزيرة العالم وسواحل جزيرة العالم على البحار والجزر البعيدة عبر البحار¹، إذ قال في ذلك: "لا يستطيع من يعرف معنى السيادة الجوية أن يشك بما قامت به الطائرات خلال الحرب من رحلات منتظمة من قارة إلى قارة"، أو من قصف لأهداف لم يخطر ببال أحد إمكانية قصفها². وإن الطائرة قد جعلت الإنسان يرى لأول مرة في تاريخه الطويل العالم كشيء واحد كرة واحدة لها خصائص الكرة، فقد بدت له الأرض كروية تلنقي فيها جميع الاتجاهات ليس لها مركز لأن كل نقطة عليها هي المركز، حيث أن أرض رَجُل الجو ذات شكل كروي حقيقي يلمس كرويتها بصورة عملية وليست مجرد شيء نظري، فالجليد والبرد والمسافات الطويلة لا تعيق رحلاته، ومن هذا يتضح بأن الطائرة قد عدلت جغرافية عالمنا لذا فهي تستطيع أن تغير تاريخه، أما إذا كان لا بد من وقوع الحرب فستكون الرحلات الجوية العظيمة الهائلة للطائرات القاصفة حول العالم لا عبره³.

وفي عام 1944م نشر "جورج رينر G.Renner" آراءه في كتابه "السلم بالخارطة" ومنها؛ أن الطرق الجوية قد ربطت بين "السويداء (الهارتلاند) الأوروبية" و"السويداء (هارتلاند) أمريكا الشمالية" عبر المنطقة القطبية، حيث تتصف منطقة "السويداء (الهارتلاند)" هذه بأنها مهددة من إحدى القوتين القطبية، فالسوفييات يشكلون مصدر تهديد لـ "السويداء (الهارتلاند)" في أمريكا والعكس صحيح⁴، ويضيف "جورج رينر" أن الهارتلاند الجديد بإمكانه أن يكون منطلقا للسيطرة العالمية لتميزه بالقرب المكاني من بعضه بواسطة الطيران وإمكانات النقل البحري والبري أيضا⁵،

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 128 - 129.

2 - نوار محمد ربيع الخيري، مرجع سابق، ص. 196.

3 - نفس المرجع، ص. 196.

4 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 129.

5 - نوار محمد ربيع الخيري، مرجع سابق، ص. 197.

وتكون قاعدة عالمية لأنها قريبة من الدائرة القطبية، وعليه يمكن أن تصبح المنطقة القطبية الشمالية بؤرة الحركة ومفتاح النفوذ العالمي¹.

2. القوة الجوية ونسبية التأثير الإستراتيجي:

بالنسبة لحدود القوة الجوية الإستراتيجية؛ فإنه لا يكتمل بنيان محاججات "جون ميرشيمر" النظري ورؤيته الإستراتيجية إلا بعد التعرض لنظرية القوة الجوية وتفنيد افتراضاتها، على خلفية الشهرة التي نالتها هذه الأخيرة بفعل التحسينات التي أدخلت على الطائرة المقاتلة، وبناءً على الإفتراض العام لأنصار القوة البرية بأن الأولوية للقوة البرية وأن القطاعات العسكرية الأخرى هي ثانوية تقوم بدور المعزز للحملة البرية، فإن هذا ينطبق أيضا على القوة الجوية، على اعتبار أنه بينما يجب على الأساطيل البحرية أن تكتسب السيطرة على البحر قبل استخدام قوتها ضد الدول المعادية، فإن القوة الجوية يجب أيضا أن تكتسب السيطرة على الجو أو تحقيق ما يسمى بالتفوق الجوي، قبل قصفها لقوات العدو على الأرض أو الهجوم على أرض العدو، فإذا لم تسيطر قوة الدولة الجوية على الأجواء، فإن قواتها البرية المهاجمة من المحتمل أن تعاني من خسائر بليغة، تجعلها من الصعب أو من المستحيل تحقيق تقدم باتجاه السيطرة على إقليم العدو وإخضاع سيادته، ومن الأمثلة التي يقدمها " ميرشيمر " حول ما تسبب ثغرة عدم تحقيق التفوق الجوي من تأثير على الحملة البرية؛ أن القاصفات الأمريكية سيّرت طلعات جوية كثيرة ضد المدن الألمانية مثل روجسبيرج Regensburg وشوييفورت Schweinfurt في شهر أوت وأكتوبر 1943م بدون السيطرة على أجواء هذا القسم من ألمانيا، مما أدى إلى معاناة الحملة الجوية الأمريكية من خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد، وأجبرت بالنهاية الولايات المتحدة الأمريكية على وقف الهجمات ضد ألمانيا إلى غاية تأمينها عام 1944م، وهي في نفس الحالة التي تكررت في حرب أكتوبر 1973 بين العرب وإسرائيل، إذ حاولت القوة الجوية الإسرائيلية توفير المزيد من الدعم اللازم للقوات البرية الإسرائيلية المقاتلة على طول قناة السويس، لكن النيران المدمرة من الصواريخ أرض جو المصرية والسورية والأسلحة الدفاعية أجبرت القوات الجوية الإسرائيلية على التراجع عن الحملة الجوية².

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص. 129.

2 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 319.

يتمثل الدور الثانوي للقوات الجوية - من منظور نظرية القوة البرية - في الدعم الجوي المطبق والتغطية الجوية الكثيفة لأرض المعركة وتوفير الدعم التكتيكي المباشر للقوات البرية الصديقة المقاتلة، وبذلك يكون الهدف الرئيسي للقوة الجوية هو تدمير قوات العدو البرية من الجو وتعطيل قدراته الجوية عن العمل، بالإضافة إلى توفير الحماية أثناء عملية الإنسحاب وإعادة التمركز للقوات البرية، يضاف إلى ذلك؛ المهام الإستثنائية وهي عمليات الإنقاذ والتموين للوحدات المعزولة داخل أرض العدو، إذ تتطلب كل هذه المهام تنسيقاً إستراتيجياً وثيقاً بين القوات البرية والجوية، وغالباً ما يقتضي هذا التنسيق وجود قيادة واحدة تكون لها صلاحية إصدار الأوامر لكل الوحدات البرية والجوية، ويفترض أنصار نظرية القوة البرية أن هذه القيادة يجب أن تكون من القوات البرية بحكم حجمها وسيطرتها على الموقف في جبهات القتال، حتى في حالة افتراض توسيع مهام القوات الجوية مثل توفير الحماية اللازمة من الهجمات الجوية لقوات العدو والقيام بتدمير أو إبطال حركة إمداد العدو للجبهة بالقوات والمؤن وتدمير مخازن التموين للعدو واستهداف وحدات إحتياط لديه، وقصف الصف الطويل من المدفعية وخطوط الإتصالات التي تربط المنطقة الخلفية للعدو بخطوط الجبهة، فإنه تبقى الأولوية للقوات البرية في السيطرة على القطاعات العسكرية الأخرى، ويبقى دور القوات الجوية في المستوى الثانوي الداعم¹.

ورغم ذلك فإن؛ إحدى أكثر الافتراضات تماسكا التي يعتمد عليها أنصار القوة الجوية في دعم موقفهم حول أولوية القوة الجوية في حسم الحرب وكسب نتيجتها، هو أنه بإمكان قيام القوة الجوية بحملة القصف الإستراتيجي على العمق الإستراتيجي لأرض العدو وخلف خطوط القتال، ولا تعطى الأولوية لما يجري على جبهات القتال، إذ يستهدف هذا القصف في المقام الأول تدمير ما أسموه بمراكز الثقل والأهداف الحيوية التي يقوم ويستمر عليها الكيان الكلي لدولة العدو، ومن ثم إجبار العدو على الإستسلام دون الإنخراط في اشتباكات برية غير معروفة النهاية والنتيجة، وتشمل هذه الأهداف العقاب الجماعي للسكان المدنيين عن طريق إجبارهم على العيش الطويل في الملاجئ وتدمير مراكز المؤن المدنية، وتدمير اقتصاد العدو الذي سوف يشل قتال قواته، ومهاجمة القاعدة الصناعية الكلية للعدو وتدميرها كلية، وتوجيه ضربات محدودة لمكون رئيسي

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص ص. 319 - 320.

أو إثنين مثل النفط أو أدوات الإنتاج أو صناعة الفولاذ أو شبكة النقل، وتوجيه ضربات محدودة لمكون رئيسي أو إثنين مثل النفط أو أدوات الإنتاج أو صناعة الفولاذ أو شبكة النقل¹.

لقد ركز أنصار نظرية الجوية على خيار الشلل الإستراتيجي لقيادة العدو السياسية وذلك على سبيل المثال عن طريق استخدام المقاتلات من أجل قتل القيادة السياسية للعدو وبذلك تصبح القوات المسلحة بدون قيادة، أو عزلهم عن شعبهم بواسطة تعطيل أدوات القيادة في الإتصال (تدمير خطوط الهاتف ومحطات البث الإذاعي والتلفزيوني، وأيضا تدمير مقرات قوات الأمن التي تتحكم في الشعب)، إذ يعتقد أيضا أنصار هذه النظرية أنه بإمكان عزل القيادة الوطنية عن قواتها العسكرية وتوفير وضعية استحالة التحكم فيها والسيطرة عليها، ففي رده على الإدعاءات الإستراتيجية لأنصار القوة الجوية، يخرج "ميرشيمر" الهجوم النووي من دائرة القصف الجوي، على اعتبار أنه منذ اكتشاف الأسلحة النووية مع نهاية الحرب العالمية الثانية، لم تعتمد القوى العظمى في تهديد بعضها البعض على المقاتلات العسكرية التقليدية، وإنما اعتمدت على الأسلحة النووية في حسم أي نزاع بينهما، فخلال الحرب الباردة مثلا لم تخطط الولايات المتحدة الأمريكية ولا الإتحاد السوفياتي سابقا لتصميم حملة جوية للقصف الإستراتيجي التقليدي ضد الآخر في حالة وقوع حرب بينهما².

وفي عرضه لمحاجاجاته المؤيدة لأولوية القوة البرية، يطرح "ميرشيمر" تساؤلات حول دور القوة الجوية والحصار الجوي في حسم الحرب وكسب نتيجتها، وهي:

- 1 - هل هناك دليل على أن القصف الإستراتيجي وحده يمكن أن يجبر العدو على الإستسلام؟
- 2 - وهل يمكن للقوة الجوية أن تساهم بشكل مهم في تحقيق النصر عبر الجيوش البرية؟
- 3 - هل تأثير القصف الجوي الإستراتيجي على المخرجة الأخيرة للحروب يحتمل أن يكون حاسما، ومساويا لما تحدثه القوة البرية في ربح الحرب وإجبار العدو على توقيع وثيقة الإستسلام؟

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 320.

2 - نفس المرجع، ص ص. 320 - 321.

وعليه يرجع "ميرشيمر" أسباب فشل حملات القصف الجوي في حسم الحرب وكسب نتيجتها، ونسبية التأثير الإستراتيجي للقوة الجوية إلى عدد من العناصر، يمكن صياغتها في مجموعة من النقاط هي كالتالي:

1 - أن العقاب الجماعي للسكان المدنيين تم إستيعابه في معظم الحالات في تاريخ العلاقات الدولية، ولم يحدث أن ثار السكان ضد حكومتهم ومطالبتها بالإستسلام، بل ربما تؤدي حملة القصف الجوي إلى إيقاظ المشاعر القومية في السكان وتزيد من اشتداد روابط التلاحم القومي بين مختلف مكونات شعب العدو¹.

2 - العامل الآخر الذي يمكن أن يفشل أهداف الحملة الجوية هو أن الإقتصاديات الصناعية الحديثة ليست رخوة إلى الحد الذي افترضه أنصار القوة الجوية، والمبرر في ذلك أن أمام القوة الجوية مساحات واسعة للمنشآت الاقتصادية للقوى العظمى عليها تدميرها، وبعضها متباعد عن بعضها البعض بمئات الأميال، ويمكن أن يكون بعضها سريا كما هو الحال مع مصانع الأسلحة السرية التي أنشأها "أودولف هتلر" تحت الأرض، أما بالنسبة للقوى الصغيرة، فإن شن حملة القصف الجوي لا معنى له من الناحية الإستراتيجية في التحليل².

3 - إن إستراتيجية "قطع الرأس Decapitation" والمتمثلة في قتل قيادة العدو عن طريق القصف الجوي الموجه، فقد أثبتت فشلها من الناحية العملية في العراق مرتين عامي 1991م و2003م، وأيض نفس الأمر في يوغسلافيا عام 1999م، وهناك حالات أخرى فشلت فيها هذه الإستراتيجية وهي قصف الولايات المتحدة الأمريكية لمقر إقامة القائد الليبي معمر القذافي في 14 أبريل 1986م، إذ ماتت فقط إبنته الصغرى، وقصف الروس للرئيس الشيشاني "جوهر دودايف Dzhokhar Dudayev" في 12 أبريل 1996م، من أجل إجبار الشيشان على إيقاف الحرب، وكانت النتيجة موت الرئيس الشيشاني واستمرار الحرب إلى أن انسحبت القوات الروسية من هناك في شهر أوت 1996م ثم عادت بعد ذلك، كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بهجوم لأربعة أيام ضد العراق في شهر ديسمبر 1998م والذي سمي بعملية "تغلب الصحراء" وهو الآخر

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص. 325.

2 - نفس المرجع، ص. 325.

فشل في قتل "صدام حسين"، وهذا يعني فشل القصف الجوي أو على الأقل محدوديته في تحقيق الأهداف السياسية للحرب¹.

3. التكنولوجيا وتهذيب مهام القوة الجوية:

أنواع الصواريخ المتطورة:

تمتلك كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وغيرهما، العديد من أنواع الصواريخ الإستراتيجية والتكتيكية القادرة على حمل قنابل ذرية، وأهم هذه الصواريخ التي تصنف على أنها أسلحة ذات السرعة الفرط صوتية، أي التي تتجاوز سرعتها الـ (5 ماخ)، والتي تم تقسيمها إلى فئتين رئيسيتين هي:

1 - الصواريخ الباليستية: وهي صواريخ إستراتيجية عابرة للقارات، وتخترق الغلاف الجوي للكرة الأرضية لإعادة توجيهها لأهداف معينة على الكرة الأرضية².

حيث يتم إطلاق الصواريخ الباليستية بسرعات فرط صوتية إلى مستويات مرتفعة من الغلاف الجوي، أو حتى إلى الفضاء وتكون هذه الصواريخ حاملة لمركبات ذات قدرة على التحليق الحر المعزز بسرعة فرط صوتية أيضا، ثم بعدها يتم فصل هذه المركبات عن الصاروخ الحامل، وتتدفق بسرعة هائلة باتجاه هدفها، وقد تم تطوير هذه الصواريخ والمركبات بحيث تمتلك قدرة كبيرة على المناورة، بما يتيح لها تقادي أنظمة الدفاعين الجوي والصاروخي، وعادة ما يخطط لإستخدام هذه الفئة في هجمات عالمية، وغالبا ما ينظر إليها على أنها صواريخ نووية، رغم قدرتها على تنفيذ هجمات تقليدية دقيقة³.

2 - الصواريخ الطوافة (كروز): وهي صواريخ تكتيكية تطوف على ارتفاعات محددة من سطح الأرض، وتطير بسرعة فائقة يصعب على أجهزة الرادار التعامل معها بسرعة، ويمكن لها أن

1 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص.ص. 325 - 326.
3 - يسري أبو شادي، "انفجار الصاروخ الروسي... بين الحقيقة والأكذوبة"، مجلة السياسة الدولية، م.54، ع.218، (أكتوبر 2019)، ص.ص. 176 - 177.
3 - مالك عوني، "سباق الأسلحة فائقة السرعة وأوهام سلام العولمة"، مجلة السياسة الدولية، ملحق تحولات إستراتيجية، م. 54، ع. 218، (أكتوبر 2019)، ص.5.

تحمل قنابل ذرية¹، حيث أن هذه الفئة من الصواريخ ذات المدى الأقصر نسبياً، تعتبر ذات استخدام تكتيكي بالأساس².

وتعتبر الصواريخ الطوافة (كروز) محل اهتمام روسي، خاصة من طرف الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" والذي أشار إلى أن روسيا ستقوم بتطويرها عقب الإنسحاب الأمريكي الفردي من معاهدة الصواريخ المتوسطة المدى، وعقب التهديد الأمريكي بوضع هذه الصواريخ في دول أوروبا الشرقية (رومانيا وبولندا) الملاصقة لروسيا³.

وتملك كل من روسيا وأمريكا في الوقت الحالي بخلاف الدول السبع النووية الأخرى (بريطانيا، فرنسا، الصين، الهند، باكستان، إسرائيل وكوريا الشمالية) أكثر من 15.000 رأس نووي، أغلبها يمكن نقلها باستخدام الصواريخ الإستراتيجية⁴.

وبخصوص سباق الأسلحة الفائقة السرعة؛ فإن الدول الكبرى في وقتنا الحالي تسعى إلى استخدام التكنولوجيا من أجل تهذيب مهام القوات الجوية والسيطرة على الفضاء الجوي والقوة الجوية، فعلى سبيل المثال قد أجرت القوات الجوية الأمريكية خلال شهر جوان 2019 أول اختبار على صاروخ ذي سرعة فرط صوتية يحمل إسم "سلاح الاستجابة السريعة المطور AGM 183A advanced Rapid Response Weapon - المعروف اختصاراً بـ (ARRW) وينطق (Arrow) بمعنى السهم، ويعد هذا الصاروخ أحد مخرجات برنامج "التحليق التكتيكي المعزز Tactical Boost Glide" المعروف اختصاراً بـ (TBG)، وهو برنامج مشترك بين هيئة مشاريع أبحاث الدفاع المتطورة (DARPA) التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية والقوات الجوية الأمريكية والقوات الجوية الأمريكية، إذ يستهدف هذا البرنامج تطوير التقنيات اللازمة لتصنيع أنظمة تحليق حرة معززة ذات سرعة فرط صوتية ومدى تكتيكي يتم إطلاقها جواً، وفي ظل أنظمة التحليق الحر المعززة، يسرع الصاروخ حمولته التفجيرية إلى سرعات مرتفعة قبل أن تتفصل الحمولة عن الصاروخ وتحلق تحليقاً حراً باتجاه هدفها من دون محرك دفع، وقد صمم الصاروخ (ARRW) ليحمل على

1 - يسري أبو شادي، مرجع سابق، ص ص. 176 - 177.

2 - مالك عوني، مرجع سابق، ص. 5.

3 - يسري أبو شادي، مرجع سابق، ص ص. 176 - 177.

4 - نفس المرجع، ص. 177.

متن الطائرات مثل القاذفة B-52، حيث تصل سرعته القصوى إلى نحو 20 ماخ أي نحو 20 ضعفا لسرعة الصوت، وقد حصلت شركة "لوكهيد مارتن" على عقد تطوير هذا تطوير هذا الصاروخ في عام 2018 بقيمة 480 مليون دولار على أن يصبح جاهزا عملياتيا خلال عام 2021م¹.

أما بالنسبة للصين ففي 6 أوت 2018 كشفت على أنها اختبرت بنجاح يوم 3 أوت 2018 مركبة ذات سرعة فرط صوتية من طراز "راكب الأمواج"، والتي يمكنها التحليق فوق موجات الصدمة المتولدة خلال الطيران بسرعة فرط صوتية، كما أن المركبة التي تحمل إسم "السمااء المرصعة بالنجوم - 2" أو "زينج كونج - 2" وباللغة الصينية "Xingkong-2" و"Starry Sky - 2" باللغة الإنجليزية، قد تم حملها بداية بواسطة صاروخ ذي محرك دافع يعمل بالوقود الصلب قبل أن تنفصل عنه وتحلق تحليقا حرا عائدة إلى الأرض بسرعة بلغت 6 ماخ أي 7344 كم/سا (4563 ميل/سا)، مظهرة قدرة عالية على المناورة خلال مسار هبوطها، وهي المرة الأولى التي تؤكد فيها الصين تطويرها لتقنية "ركوب الأمواج" بسرعة فرط صوتية، رغم أنها تعمل على تطوير مركبات تحليق حر ذات سرعة فرط صوتية من 9 جانفي 2014، حيث تمت تجربة المركبة التي تحمل إسم الكود "DF-ZF" أو "DH-17" للمرة الأولى، ومنذ ذلك التاريخ أجريت سبعة تجارب إطلاق للمركبة "DF-ZF" بواسطة صواريخ باليستية كان آخرها في شهر نوفمبر 2017، ويتوقع أن تصبح منظومة "DF-ZF" جاهزة عملياتيا خلال عام 2020م، ويتوقع أن تتراوح سرعتها بين 5 ماخ و 10 ماخ، وستكون قادرة على حمل رؤوس نووية، إضافة إلى تنفيذ ضربات تكتيكية دقيقة، كما أنها تعمل على تطوير "زينج كونج - 2" لتصبح قادرة على حمل أكثر من رأس نووي مستقبلا².

وخلال أقل من شهرين من تاريخ شهر نوفمبر 2017م، أعلنت الصين أنها أجرت بنجاح ودفعة واحدة تجربة لإطلاق ثلاث مركبات أخرى يمكنها التحليق عبر "مدى واسع من السرعات"، حيث أن النماذج الثلاثة يمكنها تعديل سرعتها من سرعة فرط صوتية إلى ما دون سرعة الصوت،

1 - مالك عوني، مرجع سابق، ص.3.

2 - نفس المرجع، ص.3 - 4.

وأن اختبارها يستهدف التعرف على ديناميكيات الطيران الخاصة بكل منها بهدف الوصول إلى أفضل التقنيات المتاحة في كل نموذج من النماذج الثلاثة، ودمجها لتطوير سلاح قادر على حمل رؤوس نووية، ولا يمكن إيقافه بواسطة أي من أنظمة الدفاع الجوي أو الصاروخي المعروفة حتى الآن، وتم حمل المركبات الثلاثة التي يعتقد أنها طورت في معهد الميكانيكا التابع لأكاديمية العلوم الصينية وتحمل الرموز الكودية "D18-1S" و "D18-2S" و "D18-3S" بواسطة بالون طائر قبل أن يتم إطلاقها في تحليق حر إلى سطح الأرض، بسرعة لم تزد خلال التجربة سوى على 1 ماخ¹.

أما روسيا فقد شهد شهر أوت 2019م أول تجربة علنية للصواريخ "Kh-47M2 Kinzhal" خلال مسابقة الألعاب العسكرية الدولية التي تستضيفها روسيا سنويا منذ عام 2015م، حيث دخل الصاروخ "Kinzhal"؛ وهو صاروخ باليستي يطلق جوا قادر على حمل رؤوس نووية وتقليدية على السواء، الخدمة في شهر ديسمبر 2018، والذي تبلغ سرعته 10 ماخ، وهو قادر على المناورة في كل مرحلة من مراحل تحليقه، إذ يمكن إطلاق "Kinzhal" بواسطة القاذفة "Tu-22M3"، ويمكن أن يبلغ مداه في هذه الحالة 3000 كم، أو إطلاقه بواسطة الطائرات الإعتراضية "MiG-31K" حيث يبلغ مداه حينئذ نحو 2000 كم، وقد تم نشر هذا الصاروخ في المنطقة العسكرية الجنوبية في روسيا، إذ يملك أيضا هذا الصاروخ نظام توجيه يجعله قادرا على مهاجمة أي أهداف ثابتة أو متحركة، وهو مطور بما يتيح له تجاوز أي أنظمة دفاع جوي أو صاروخي أمريكية قائمة أو مخطط لها².

كما أجرت روسيا في 26 ديسمبر 2018 آخر تجارب إطلاق مركبة التحليق الذاتي التي تحمل اسم "الرائدة" أو "Avangard" بالروسية، حيث تم حملها بواسطة الصاروخ الباليستي العابر للقارات "UR-100UTTKh" وبلغت سرعتها في أثناء تحليقها الحر خلال تلك التجربة نحو 27 ماخ، بحسب ما أفاد به نائب رئيس الوزراء الروسي لشؤون الدفاع والفضاء "يوري بورييوسوف"، وقد أجرت روسيا تجارب إطلاق على تلك المركبة القادرة على حمل حمولات تفجيرية نووية وتقليدية

1 - مالك عوني، مرجع سابق، ص. 4.

2 - نفس المرجع، ص. 4.

على السواء، منذ شهر فيفري 2015، وقد أعلن الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" في أول مارس 2018م أن مراحل اختبار المركبة "Avangard" قد اكتملت، وأنها ستدخل مراحل الإنتاج، وعليه تعد تلك التطورات جميعها مؤشرات على سباق التسلح المتسارع الآخذ بالسيطرة على العقل الإستراتيجي للجيش الكبري حول العالم بهدف تطوير أسلحة فرط صوتية وحيازتها عملياتيا¹.

جدورل رقم 01: فئات السرعة وعلاقتها بسرعة الصوت

التطبيق	كم/سا	ماخ	السرعة
الطائرات التجارية، المحركات المروحية، الطائرات الانفاثة	980 >	0.8 >	ما دون سرعة الصوت
الطائرات النفاثة، صواريخ كروز	1470 - 980	1.2 - 0.8	عبر صوتية
طائرات، صواريخ كروز، أنظمة صاروخية	6150 - 1470	5.0 - 1.2	فوق سرعة الصوت
مركبات إعادة الدخول، صواريخ باليستية قصيرة المدى، صواريخ كروز فرط صوتية، طائرات فرط صوتية، صواريخ باليستية عابرة للقارات، مركبات تحليق معززة	12300 - 6150	10.0 - 5.0	فرط صوتية
مركبات إعادة الدخول، صواريخ باليستية عابرة للقارات، مركبات ذات سرعة فرط صوتية متطورة، مركبات تحليق حر معززة	30740 - 12300	25.0 - 10.0	فرط صوتية فائقة
مركبات إعادة الدخول	307400 <	250.0 <	التراسونيك

المصدر: مالك عوني، مرجع سابق، ص. 5.

وتتباين أهداف الدول الثلاث المتصدرة لسباق التسلح الجديد والمتسارع، حيث بدأت الولايات المتحدة الأمريكية مساعيها المبكرة في هذا الصدد لتحقيق هدفين رئيسيين، أولهما: تنفيذ هجمات سريعة غير نووية بالضرورة على نطاق عالمي، في إطار ما بات يعرف منذ مطلع القرن الواحد

1 - مالك عوني، مرجع سابق، ص. 4.

والعشرين ببرنامج الضربة الفورية التقليدية العالمية*، وارتبط ذلك بسعي الولايات المتحدة الأمريكية لتعزيز حضورها العالمي، دون الحاجة لحشد قوات كثيفة ونشرها عبر مسافات شاسعة وبعيدة، وبتكلفة مادية وبشرية مرتفعة مثلما حدث إبان حروب تحرير الكويت عام 1991، أو غزو أفغانستان عام 2001، والعراق عام 2003م، كما يندرج في إطار هذا الهدف التعاطي مع التهديدات غير التقليدية الجديدة مثل تحركات التنظيمات الإرهابية بسرعة كبيرة، أما الهدف الثاني فهو إمتلاك قدرة استراتيجية وتكتيكية تقليدية لشن هجمات سريعة ومفاجئة حين يلزم الأمر، ضد روسيا والصين، خاصة بعد تزايد طموح الولايات المتحدة الأمريكية لفرض هيمنتها العسكرية، مع توسعها عالمياً في نشر منظومات صواريخها التكتيكية، مثل "باتريوت باك 3 Patriot PAC3" أو "إيجس AEGIS" أو "RIM-116"، أو حتى الإستراتيجية مثل منظومة الدفاع في نهايات النطاقات العالية "THAAD" التي تستهدف الصواريخ الباليستية بأماها المختلفة، وقد هدّدت تلك المنظومات بتقليص قدرة الردع الصاروخية المتاحة لكل من روسيا والصين¹.

وفي المقابل كانت مساعي روسيا والصين بالأساس مدفوعة بداية بتطوير صواريخ قادرة بسبب سرعتها الهائلة، وقدرتها الكبيرة على المناورة وعلى إفشال هذه السياسة الأمريكية الهادفة لحصارها بأنظمة دفاع صاروخية، وتقويض قدرتها على الردع، سواء التكتيكي في نطاقات إقليمية محدودة أو حتى الإستراتيجي على نطاق عالمي، إذ تمتلك روسيا الآلاف من الصواريخ الباليستية التي يتعذر إفتراض أن تتمكن أي منظومات دفاع صاروخي أمريكية من إسقاطها جميعاً، عند شن هجوم شامل، والتي يكفي عدد محدود منها لإحداث دمار شامل في الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي فإن إفتراض التقويض التام لقدرة الردع الروسية ليس هو المحفز الرئيسي لروسيا للإخراط في هذا السباق، بقدر ما يرجح أن الروس ربما يخططون لهدفين أولهما؛

* برنامج الضربة العالمية الفورية (Prompt Global Strike - PGS): هو عبارة عن منظومات سلاح هجومية غير نووية عالية الدقة، تمكن من ضرب أي هدف في أقل من ساعة واحدة بعد لحظة اتخاذ القرار، بغض النظر عن كوقعه على الكرة الأرضية، وتستعمل منظومات الضربة العالمية الفورية رؤوساً حربية تقليدية (غير نووية) تحمل على الصواريخ الباليستية أو أسلحة موجهة ذات سرعات فرط صوتية، ومع ارتفاع المخصصات المالية لبرامج الفضاء في الميزانية العسكرية الأمريكية لعام 2020م لتصل نحو 2.2 مليار دولار، فمن المنتظر أن يزود هذا البرنامج في المستقبل بالأنظمة الفضائية الحركية التي يطلق عليها "صولجان الرب"، وهي وهي تتمثل في قضبان حديدية يتم تسريعها بشكل كبير، وتوجيهها بدقة إلى الهدف المحدد.

1 - مالك عوني، مرجع سابق، ص 5 - 6.

محاولة دفع جهود التطوير العسكري باتجاهات بعيدة عن السعي لتقويض قدرات الردع الصاروخية الروسية، وهو هدف تثار شكوك كبيرة حول إمكانية تحقيقه مع اتجاه الولايات المتحدة الأمريكية لعسكرة الفضاء، من أجل توفير منظومة دفاعية قادرة على استهداف الصواريخ الباليستية وذات السرعة المفرط صوتية على السواء، أما الهدف الآخر فهو تطوير القدرة الروسية على تعزيز حضورها العسكري عالميا، خاصة في ظل تكاليف خبرة الإنتشار العسكري في سوريا، وسعي روسيا لإعادة بناء دور عالمي، ورغم أنه لا ينزع للقطبية مجددا، فإنه لا غنى عنه لتعزيز بناء قوة روسيا، في ظل النظام الإقتصادي المعولم الراهن¹.

أما بخصوص الصين؛ فإن استخدام قدرتها المتطورة من الصواريخ ذات السرعة المفرط صوتية في آماذ بعيدة، مثل مهاجمة الأراضي الأمريكية - على سبيل المثال - لا يزال يعوزه الكثير من البنية المعلوماتية التي تحتاج إلى قدرة فضائية متطورة، سواء فيما يتعلق بالأقمار الصناعية، أو في ما يتعلق بإمتلاك أسلحة قادرة على استهداف البنية الفضائية الأمريكية، سواء المعلوماتية ممثلة في الأقمار الصناعية أو حتى العسكرية التي يتوقع أن تتطور سريعا خلال السنوات المقبلة، لذا فإن تركيز الصين الرئيسي يتمثل في تعزيز قدرة الرد الخاصة بها في مجالها الحيوي إقليميا، وإمتلاك القدرة على حماية مصالحها الإقتصادية الأخذة في التوسع عالميا، لذا يرجح أن يكون الإستخدام الرئيسي لتلك الأسلحة ذات الفرط صوتية من قبل القوى الثلاث، هو استخدامها لتعزيز حضور كل منها العسكري عالميا بتكلفة منخفضة نسبيا أكثر مما قد يكون هذا الإستخدام في مواجهة بعضها البعض، ويعزز من هذا الإفتراض حقيقة أن ضيق المدى الزمني للتحقق المعلوماتي من طبيعة الهجوم بمثل تلك الأسلحة، وما إذا كان تقليديا أم نوويا، قد يدفع لتصعيد أي مواجهة محتملة بين تلك القوى الثلاث إلى حدها الأقصى، واحتمال اللجوء مباشرة لخيار الرد النووي، ويمثل نمط الإستجابة في مواجهة عدم القدرة على التحقق بحد ذاته مُعاملا من معاملات الردع التي ستحد بكل تأكيد من لجوء هذه القوى لاستخدام قدراتها الفرط صوتية

1 - مالك عوني، مرجع سابق، ص. 6.

ضد بعضها البعض، إلا أنها ستعزز من نزوعها للإنخراط في صراعات إقليمية ستقل تكلفتها بالنسبة لها فيها بكل تأكيد¹.

وبالنسبة لدول أخرى فإن كل من الهند واليابان وأستراليا وفرنسا وألمانيا، قد شرعت في تبني برامج لتطوير أسلحة ذات فرط صوتية، حيث تتعاون الهند مع روسيا لتطوير صاروخ "كروز" يحمل اسم "BrahMos 2" بسرعة تصل نحو 7 ماخ، كما تمكنت الهند في شهر جوان 2019 من إجراء اختبار ناجح لصاروخ "كروز" محلي الصنع تبلغ سرعته 6 ماخ، ويعتمد على محرك احتراق نفاث فوق صوتي (Scramjet)، وبالنسبة لفرنسا فقط استثمرت في تقنية الفرط صوتية منذ تسعينيات القرن العشرين، وأعلنت أنها تسعى إلى عسكرة برنامجها الخاص في هذا الصدد، وتطوير صاروخها الذي يفوق سرعة الصوت "ASN4G" ليصبح صاروخا ذات سرعة فرط صوتية بحلول عام 2022م².

المحور الرابع: فضاء القوة الفضائية

يعتبر فضاء القوة الفضائية البعد الرابع من فضاءات القوة الإستراتيجية، إذ أصبح مجال الفضاء الخارجي مجالاً للتنافس بين الدول على اعتبار أنه فضاء غير مقيد ولما له من جاذبية للإستحواذ على القوة في الفضاء الخارجي وتوضيفها للأغراض العسكرية، الإستراتيجية والمدنية، وفي ما يلي سيتم الإلمام بهذا الفضاء الرابع للقوة، ومدى إستخدامه كمجال للنفوذ والسيطرة الإستراتيجية وتحقيق التفرد والقوة.

1. الخلفية النظرية للتحليل:

تعود الجهود الرامية لإنشاء قوة فضائية إلى حقبة الحرب الباردة، نظراً لأن كلا من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي كانتا تتابعان برامج موازية لاكتشاف الفضاء كجزء من مساعيها لمواكبة كل التطورات في هذا الميدان، بالإضافة إلى ذلك، كان تطوير الصواريخ

1 - مالك عوني، مرجع سابق، ص. 6.

2 - نفس المرجع، ص. 6.

الباليستية قصيرة المدى والعبارة للقارات السبب الرئيسي في إنشاء الصواريخ الحاملة في المقام الأول، ومنذ ذلك الحين، ارتبطت الإستخدامات العسكرية على استكشاف الفضاء بشكل دائم¹. ولقد برز مصطلح حرب الفضاء في ظل الرغبة العدوانية الجديدة التي أخذت على عاتقها أمر ترويض الفضاء واستخدامه عسكرياً والسيطرة عليه، ومن ثم تحويله إلى قاعدة حربية للسيطرة على العالم بكامله، وهو الأمر الذي برز منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين، إذ مضى يتطور بوتائر سريعة للغاية، وبرز مصطلح حرب الفضاء، عكف الإستراتيجيون العسكريون في الغرب والشرق على دراسته وتقصي أبعاده، وتتبع نتائجه وآثاره خاصة بعد أن رصدت الولايات المتحدة الأمريكية اعتمادات مالية ضخمة لتطوير أسلحة الفضاء، مما دفع بالإتحاد السوفياتي آنذاك لتبني سياسة دفاعية تؤمن الردع المرن من جهة، ودعم السلام العالمي وحمايته من جهة أخرى²، ومن ثمة برز فضاء آخر للحرب والسيطرة هو فضاء القوة الفضائية.

وعليه فقد أصبحت السيطرة المطلقة على الفضاء، وتسليحه وتجهيزه عسكرياً الشغل الشاغل لقيادة "البنتاغون" الذين يلقون الدعم من أصحاب شركات الصناعة الحربية والمراكز المالية، حيث ورد هذا في الأمر الرئاسي الأمريكي الصادر في شهر جوان 1982 تحت عنوان "السياسة الفضائية القومية"، حيث وضعت الولايات المتحدة الأمريكية لنفسها هدفاً إستراتيجياً يتمثل بتشكيل جهد عسكري حربي كبير يؤمن الفضاء على التوابع والأقمار والمحطات المعادية الموجودة في الفضاء، ويدمر الأهداف الأرضية والمراكز القيادية والحيوية الاقتصادية والاجتماعية على الأرض وفي البحر، والغلاف الجوي في آن واحد، وعليه أن يوفر الردع الكامل لصواريخ العدو المضادة ووسائله التي تستخدم في الضربة الردية (الجوابية)³.

ففي شهر مارس 1983 أطلق الرئيس الأمريكي "ريغن" من خلال خطاب تلفزيوني له مصطلح جديد أسماه "حرب النجوم"، معتبراً أنها حقيقة واقعية وليست من نسج الخيال، حيث

1 - ماثيو .س. وليامز، "عسكرة الفضاء: هكذا ستبدو قوة الفضاء"، (2019/10/24)، نقلاً عن الرابط التالي:

<https://www.noonpost.com/content/29022>

2 - مصطفى طلاس وآخرون، الإستراتيجية السياسية العسكرية، الجزء الثاني، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 2011)، ص. 841.

3 - نفس المرجع، ص. 842.

سارع المهتمون الأمريكيون في شؤون الحرب المقبلة لوضع خطة متماسكة من شأنها تحقيق هذا الخيال، مما شكل موضوع عسكرة الفضاء الكوني خطورة، وسبب اهتمام الأوساط العالمية به، ومن ثمة أصبح الفضاء عمليا على الرغم من جميع المقترحات الثنائية والمشاركة العالمية التي حاولت منع عسكرته، ونقل الأسلحة والعتاد الحربي إليه، فانتقال الأسلحة الفتاكة إلى الفضاء يعني القضاء على جميع الآمال التي تعقدها المجتمعات الإنسانية من أجل التوصل لإتفاقية شاملة بشأن الحد من الأسلحة النووية ومنع انتقالها إلى الفضاء¹.

إن القيادة السياسية الأمريكية حاولت التحجج للمجتمع الدولي ودول العالم بالتفوق العسكري السوفياتي (سابقا) أولا، وكذا بعزم هذا الأخير على توجيه الضربة النووية الأولى ضد الأراضي والمنشآت والمدن الأمريكية والأوروبية في آن واحد، حيث يسعى إلى إحراز التفوق العسكري في الفضاء أيضا، من خلال تخصيصه جهودا كبيرة واعتمادات مالية تزيد بكثير عن ما تنفقه الولايات المتحدة الأمريكية، ونتيجة لذلك فقد ظهرت الأسلحة السوفياتية الإستراتيجية المتطورة، وفي مقدمتها الغواصة السوفياتية حاملة الصواريخ من طراز "تايغون" الفائقة القدرة والعصرية جدا، والتي تكوّن خطرا مباشرا على أمن الأمريكيين وسلامتهم، بينما لن تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من وضع المنظومة الصاروخية المكافئة لها من طراز "ترايدنت - 2" إلا في تسعينيات القرن العشرين².

وعليه برزت النزعة التوسعية في مجال سباق التسلح وتهديد السلام العالمي عن طريق تطور المنظومات الحربية المختلفة، وخاصة في مجال القضاء لتحقيق التفوق العسكري الأمريكي على الإتحاد السوفياتي من جهة، وبهدف الهيمنة على الكون من جهة أخرى³.

إن الإستراتيجية الأمريكية ترى ضرورة السيطرة المطلقة على الفضاء، ودعم ذلك بتفوق كامل في مجال الأسلحة الإستراتيجية الهجومية التي تحقق لديها مقولتي: "الدفاع الأمين، والهجوم الحاسم"، وهي بهذا تدفع الإتحاد السوفياتي ودول المنظومة الإشتراكية إلى تحضيرات عسكرية

1 - مصطفى طلاس وآخرون، الإستراتيجية السياسية العسكرية، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص. 842.

2 - نفس المرجع، ص. 864 - 865.

3 - نفس المرجع، ص. 867.

متواصلة، تزيد من أعبائها الإقتصادية، كما تجبر من خلال هذا دول أوروبا الغربية على تبني فكرة الزيادة المتواصلة في النفقات العسكرية، والقبول بمقترحات نشر السلاح والمنظومات الصاروخية الأمريكية في دول القارة الأوروبية، وتعرضها بذلك لخطر الحرب النووية¹.

وتعتبر مسألة السيطرة على الفضاء الشغل الشاغل للثنائي الأمريكي "ريغن - واينبرغر"، وهو ما أكدته التعليمات التوجيهية الدفاعية للسنوات 1984 - 1988م التي نظمت الإستراتيجية الأمريكية المقبلة في مجال خوض الحروب الفعالة من الفضاء، والضرورة القومية لتحقيق السيطرة الأمريكية على الفضاء، حيث عبر وزير القوى الجوية الأمريكية آنذاك "فيرن أوي" عن هذا بتأكيد على ضرورة التوجه إلى الفضاء واعتباره المجال الرابع للدفاع الأمريكي، وتجهيزه عسكرياً لتوجيه الضربات ضد الأهداف الموجودة على الأرض وفي الجو والبحر، وكذلك ضد الأقمار الصناعية المعادية، وحماية الأراضي الأمريكية عن طريق "الدرع الواقي" من الصواريخ المعادية². تعمل الولايات المتحدة الأمريكية في إطار مبادرة "الإطمئنان الأوروبي" على تعزيز وجودها العسكري في الحدود مع روسيا عبر ستة مراكز للقيادة في كل من: ليتوانيا، إستونيا، لاتفيا، بولندا، بلغاريا ورومانيا، وتقديم مساعدات عسكرية لدول أخرى كأوكرانيا، مولودفيا وجورجيا، وتهدف في مجملها إلى توسيع الدرع الصاروخية، وافتتاح قواعد عسكرية جديدة في نقاط إلتماس مع روسيا، كقاعدة "ديفسيلو" في رومانيا، إضافة إلى مخاطر برامج التسليح الأمريكية في الفضاء التي تسعى لتطوير نظام للدفاع الصاروخي عبر نشر نظام لأجهزة الإستشعار المدارية بما يتيح اعتراض الصواريخ وإيقافها وهي في مساراتها، وهو ما من شأنه تحييد القدرات الصاروخية لكل الأطراف الدولية، وبالتالي تقويض الركن الأهم الذي يتأسس عليه هيكل الردع العالمي³.

ولمواجهة هذه التهديدات؛ اتبعت روسيا استراتيجية للتحديث العسكري، تجعل من التقنية التكنولوجية العسكرية مدخلا لتحقيق الأفضلية النوعية والنسبية في مجالات تمكنها من الدفاع بكفاءة عالية عن عمقها الإستراتيجي، وتوجيه ضربات خاطفة للقوات المعادية، وتعتمد هذه

1 - مصطفى طلاس وآخرون، الإستراتيجية السياسية العسكرية، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص. 867.

2 - نفس المرجع، ص. 867.

3 - سامي السلامي، "كسر الحصار.. الصواريخ" الفرط صوتية" والحفاظ على قدرة الردع الروسية"، مجلة السياسة الدولية، ملحق تحولات إستراتيجية، م. 54، ع. 218، (أكتوبر 2019)، ص ص. 13 - 14.

المقاربة على عدد نسبي من الأسلحة التي لا يمكن في الوقت الحالي إيقافها، كالصواريخ ذات الرعة الفرط صوتية "Avangard" و "Kinzhalt" و "Zircon" التي تفوق سرعتها سرعة الصوت¹. حيث تشغل الصواريخ ذات السرعة الفرط صوتية موقعا رئيسيا في الإستراتيجية العسكرية الروسية لما تمثله من نقلة نوعية في منظومات التسليح، كونها عصية على المنظومات المضادة للصواريخ، وتتجاوز بالتالي محاولات الولايات المتحدة الأمريكية الإنتقاص من قدرات الردع الروسية بفعل سرعتها الفائقة (ما بين 5 و 20 ماخ) وقدرتها على المناورة، والارتفاعات الإستثنائية التي تتخذها (تصل لـ 100 كم) والتي تمكنها من استهداف مراكز القرار المعادية للمصالح الروسية، فالفكرة الإفتراضية هنا؛ أنه إذا أرادت روسيا الحافظ على عامل الردع، فيجب عليها امتلاك القدرة على توجيه ضربات صاروخية مركزة في أي وقت وأي اتجاه أي مكان، وهو ما تقدمه الصواريخ ذات السرعة الفرط الصوتية المصممة للعبور عبر شبكة الأجهزة الدفاعية الفضائية للعدو ومنظوماتها، إذ تقدم الصواريخ ذات السرعة الفرط صوتية - حسب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين - ميزة نوعية للمنظومات الصاروخية الروسية، تجعلها قادرة على استخدامها بفاعلية ليس فقط ضد الأراضي التي قد يأتي منها تهديد مباشر (الدرع الصاروخية في أوروبا)، ولكن أيضا ضد الأراضي التي تعد مراكز لاتخاذ القرار المعادي (الولايات المتحدة الأمريكية)، ومصدرا مباشرا لتلك التهديدات خصوصا أن بعض الصواريخ الأمريكية المنتشرة في أوروبا قادرة نظريا على إصابة روسيا خلال 10 إلى 12 دقيقة من لحظة إطلاقها².

فالفكر الإستراتيجي الروسي يدرك جيدا أن من أراد السلم فعليه الإستعداد للحرب، وخلق حالة من الردع تجاه القوات المعادية، وهو ما يتيح برنامج التحديث العسكري الروسي النوعي، خصوصا في مجال الصواريخ ذات السرعة الفرط صوتية التي تعد تحديا حقيقيا للقوات العسكرية الأمريكية، بما يدفع هذه الأخيرة للتواصل والتفاوض مع الجانب الروسي في مناطق تماس النفوذ والإحتراب (سوريا مثلا) لتجنب أي مواجهة مكلفة، فامتلاك التكنولوجيا الفرط صوتية يدفع جميع

1 - سامي السلامي، مرجع سابق، ص. 14.

2 - نفس المرجع، ص. 14.

الأطراف إلى التفاوض بدلا من الحرب، من منطلق أن: "لا خطة يمكنها النجاح من دون أن ترتبط بالعدو أولا"¹.

وعليه فإن روسيا تعمل على تطوير صواريخ ذات سرعة فرط صوتية تتجاوز بفعل سرعتها الفائق (ابتداء من 5 ماخ)؛ القدرات الحالية لاعتراضها من قبل المنظومات المضادة للصواريخ، إذ تشكل هذه الأسلحة في أي لحظة وعلى أي مسافة، تهديدا فوريا للقوات المعادية بضربة تقليدية وحتى نووية، حيث يوجد نوعان من الصواريخ ذات السرعة الفرط صوتية تخضع للتطوير حاليا، النوع الأول يتمثل في "المركبات الإنزلاقية الفرط صوتية" والتي تطلق عادة بصواريخ إلى الغلاف الجوي العلوي، ويتم إطلاقها عند ارتفاعات يمكن أن تتفاوت بين 50 كم تقريبا إلى أعلى من 100 كم، وتنزل إلى أهدافها بالتوجه ناحية الغلاف الجوي العلوي، أما النوع الثاني فهو "صواريخ كروز فرط صوتية" يتم دفعها في طريق أهدافها من خلال صواريخ أو محركات نفثة عالية السرعة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن المركبات الإنزلاقية الفرط صوتية تختلف من عدة جوانب مهمة عن الأنواع الحالية من الصواريخ الباليستية وصواريخ كروز، إذ يمكن للمركبات الإنزلاقية الفرط صوتية تغيير نقطة تأثيرها والمسار المرتبط بها طوال مدة تحليقها، وتحلق المركبات الإنزلاقية الفرط صوتية أيضا على ارتفاعات منخفضة مقارنة بالصواريخ الباليستية، حيث يمكن أن تؤدي هذه الخصائص إلى أن تصبح هذه الصواريخ ذات السرعة الفرط صوتية أكثر تهديدا وزعزعة للاستقرار من الصواريخ الموجودة حاليا².

وبرغم السرية التامة التي تحيط بها روسيا برنامجها لتطوير هذه الصواريخ؛ إلا أنها قامت بالإعلان عن ثلاثة نماذج هي: "Avangard" و"Kinzhal" و"Zircon"، والتي نجحت كلها في مرحلة الاختبارات ودخلت تدريجيا حيز العمل ضمن القوات المسلحة الروسية³، ويمكننا التعريف بهذه النماذج الثلاثة أكثر في مايلي:

1 - سامي السلامي، مرجع سابق، ص. 14.

2 - نفس المرجع، ص. 14.

3 - نفس المرجع، ص. 14.

1 - صاروخ "Zircon" الفرط صوتي:

يصنف هذا الصاروخ ضمن خانة صواريخ كروز الروسية الفرط صوتية، حيث تم تطويره في مصنع "NPO Machine Building" في "ريوتوف" خارج مدينة موسكو، ليصبح قادرا بعد إطلاقه من الغواصات الروسية على توجيه ضربات قاتلة للسفن وحاملات الطائرات والغواصات، وكذا الأنظمة الصاروخية الأرضية المتحركة، إذ تسمح السرعة المذهلة التي يقترب بها الصاروخ من هدفه من 6 ماخ إلى 8 ماخ للغواصات الروسية الواقعة خارج الحدود البحرية للولايات المتحدة الأمريكية، بضرب أهداف تقع على عمق 500 كم إلى 1000 كم داخل الأراضي الأمريكية في غضون خمس دقائق، كما تمنح صواريخ "كروز Zircon" الفرط صوتية تقدما عسكريا كبيرا لروسيا بفعل قدرتها على حمل رؤوس نووية، حيث تصل قدرة الغواصات الروسية من الجيل الخامس على إطلاق 40 صاروخا من نوع "Zircon" في وقت واحد على مراكز مراقبة القوات المسلحة المتمركزة في الولايات المتحدة الأمريكية، التي تدير أنظمة الصواريخ المنتشرة في أوروبا، في حالة قيام الولايات المتحدة الأمريكية باستخدامها لمهاجمة روسيا، إضافة إلى عامل المناورة الذي يقدمه البدء في تجارب إطلاق "Zircon" من السفن الحربية، وتحديدًا من فرقاطة "الأدميرال جورشكوف"، حيث يتم إطلاقه من نفس منصات صواريخ "كالبر" المجهزة دون الحاجة لإنشاء منصات جديدة، كما تعمل روسيا على بناء 12 فرقاطة جديدة من مشروع "الأدميرال جورشكوف" بحلول عام 2027م، إذ ستحمل كل سفينة 48 صاروخا من نوع "Zircon" وهو النوع الذي لا يستطيع أي نظام دفاعي صاروخي حاليا إيقافه¹.

2 - صاروخ "Kinzhalt" الفرط صوتي:

تؤكد العقيدة الروسية ضرورة التمكن من قدرات صاروخية وطويلة المدى للتعامل مع أعضاء الناتو الأوروبيين وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي، وعلى هذا النحو تمتلك روسيا مجموعة من الصواريخ التي تناسب هذا الغرض، إضافة إلى صواريخ "Zircon"؛ قامت روسيا بنشر نظام صاروخي فرط صوتي متمثل في الصاروخ "Kinzhalt" الذي تم إطلاقه جوا من طائرات "ميغ - 31"، حيث تصل سرعة "Kinzhalt" إلى 10

1 - سامي سلامي، مرجع سابق، ص. 14.

ماخ فيما يبلغ مداه 2000 كم، وقد صمم "Kinzhall" للقضاء على الأهداف البرية والبحرية، حيث تمثل خصائص الطيران المرتفعة لطائرة "ميج - 31" إضافة إلى القدرة العالية على المناورة واختراق الرادارات، وكذلك القدرة على حمل رؤوس نووية، وهي عوامل تعزز من القدرات العسكرية الروسية الصاروخية، وقد دخلت هذه الصواريخ للعمل ضمن القوات المسلحة الروسية منذ شهر ماي 2018م، إذ يضمن تسارع "ميج - 31"؛ 2.3 ماخ وهي السرعة اللازمة لإطلاق "Kinzhall"، كما أتاح تزويد قاذفات "تو 22 أم 3" الإستراتيجية بصواريخ "Kinzhall" بمعدل أربعة صواريخ لكل قاذفة، مما رفع مدى هذه الصواريخ ليصل إلى 3000 كم¹.

3 - المركبة الإنزلاقية الفرط صوتية "Avangard":

لقد درس الإتحاد السوفياتي خلال حقبة "ستالين"؛ إمكانية استخدام القاذفات طويلة المدى الفرط صوتية كوسيلة لتوصيل سلاح ذري، ومع ذلك فقد سادت الصواريخ الباليستية في نهاية المطاف بحسبانها الوسيلة الأكثر فاعلية، وتجدد الإهتمام ببرنامج للصواريخ طويلة المدى الفرط صوتية خلال "حرب النجوم" في ثمانينيات القرن العشرين، كرد على البرنامج الأمريكي لنظام الدفاع الصاروخي المضاد للصواريخ الباليستية، بيد أن انهيار الإتحاد السوفياتي مهد لتجميد وتعليق تطوير تلك الصواريخ، ويبدو حالياً أن المركبة الإنزلاقية الفرط صوتية من طراز "Avangard" التي دخلت الخدمة ضمن القوات العسكرية الروسية عام 2019م؛ هي الخلف للبرامج السابقة².

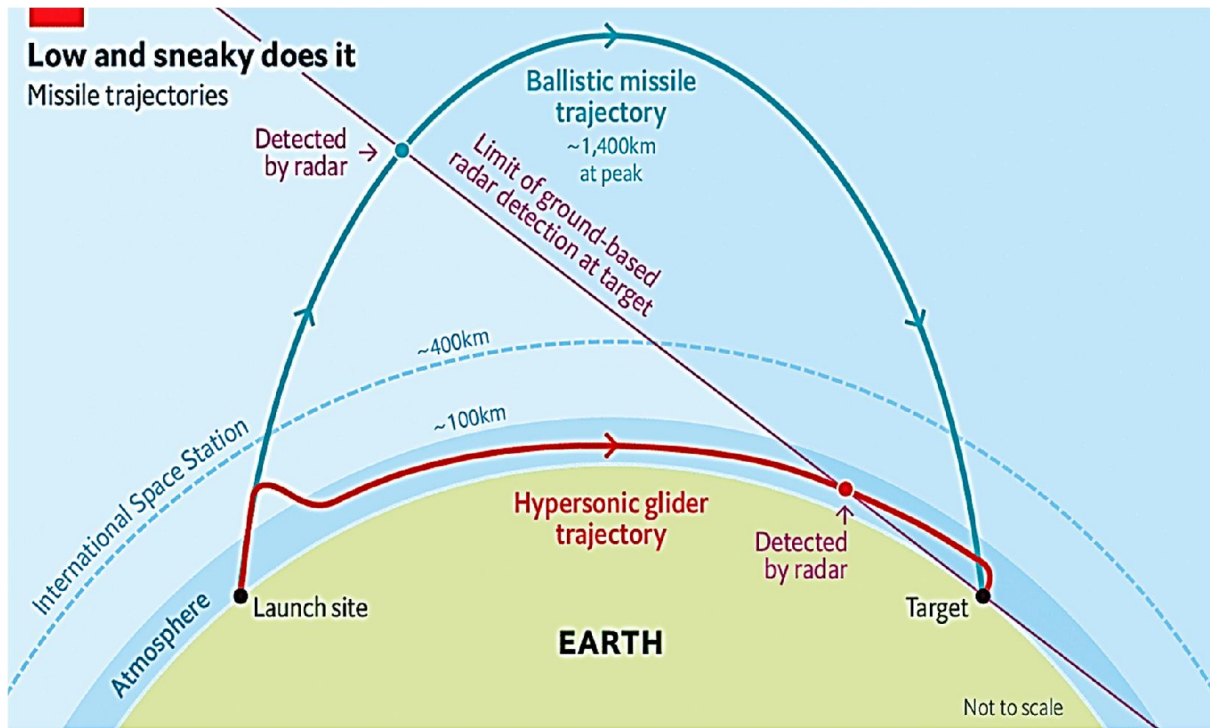
لقد قامت روسيا بتطوير مركبة إنزلاقية فرط صوتية عابرة للقارات "Avangard" والتي تستطيع تغيير المسار والارتفاع، والتي لا تقهر عملياً، حيث تطير في المتوسط بسرعة 20 ماخ (24696 كم/سا)، وقد بلغت سرعتها 27 ماخ (33339 كم/سا) خلال اختبار تجريبي في شهر ديسمبر 2018م، إذ استطاعت إصابة هدف يقع على بعد نحو 6000 كم، وبالإضافة إلى ذلك فقد أشار الجنرال "روبرت أشلي" مدير وكالة الإستخبارات الدفاعية الأمريكية في شهر ماي 2019، إلى أن الصاروخ "Sarmat RS - 28" وهو صاروخ باليستي جديد روسي عابر للقارات،

1 - سامي السلامي، مرجع سابق، ص ص. 14 - 15.

2 - نفس المرجع، ص. 15.

قد يكون قادرا كذلك على حمل "Avangard"، ما قد يزيد من مدى هذه المنظومة الصاروخية الفرط صوتية القادرة على حمل رؤوس نووية، خصوصا أن مسار "Avangard" يمر عبر انزلاقه على ارتفاع بضعة عشرات من الكيلومترات داخل طبقات الجو الكثيفة، مما يجعل من هذا المجمع الصاروخي الإستراتيجي المزود برأس مجنح فرط صوتي حائم يحلق نحو الهدف بسرعة فرط صوتية، بمسار ليس باليسئيا كما هو الحال بالنسبة لكل الصواريخ الباليستية العابرة للقارات، إذ بمقدور الرأس المجنح القيام بمناورة عمودية وأفقية لتقادي مناطق مسؤولية كل المنظومات المعاصرة والواعدة للدرع الصاروخي¹.

الشكل رقم 01: مسار مركبة إنزلاقية فرط صوتية مقارنة بصاروخ باليستي ومدى التفاوت الذي يطبع عملية رصدها من قبل الرادار



The Economist

المصدر: https://www.economist.com/sites/default/files/images/print-edition/20190406_STC905.png

1 - سامي السلامي، مرجع سابق، ص. 15.

كتوضيح للشكل رقم (01) فإن؛ مركبة الإنزلاق الفرط صوتية تتفصل عن الصاروخ بينما لا يزال سعوديًا ويتخطى طول الغلاف الجوي العلوي، ثم يدخل من جديد وينزلق عبره لمئات أو آلاف الكيلومترات، فهو على عكس الصواريخ القديمة، فإنها لا تتبع قوس مكافئ يمكن التنبؤ به في السماء، إذ تستطيع تغيير المسار والارتفاع، ومن ثم القيام بمناورة عمودية وأفقية لتقادي مناطق ذات نطاق مسؤولية كل المنظومات المعاصرة والواعدة للدع الصاروخي.

2. الأبحاث الفضائية وتطور ملاحه الأقمار الصناعية:

يرى الإستراتيجيون العسكريون مستندين إلى التطبيق الواسع الذي تقوم به الإدارة الأمريكية للبرامج الواسعة المخصصة لعسكرة الفضاء، أن الولايات المتحدة الأمريكية قد دخلت فعليًا مرحلة جديدة من سباق التسلح، حيث نقلته إلى ما حول الأرض، ولهذا فالحرب المقبلة ستكون حرب النجوم، كما يؤكد هؤلاء أن التحضير المباشر لهذه الحرب قد بدأ منذ وقع الرئيس الأمريكي السابق "رونالد ريغن" على التعليمات الخاصة بذلك، رقم 119 في 6 جانفي 1984 والت نصت على ضرورة البدء بتنفيذ برامج الإستراتيجية الأمريكية الدفاعية الجديدة بإشراف البنتاغون، وتكوين القيادة العامة الفضائية، والقيادة المركزية، وتطوير برامج البحث العلمي والتصنيع الحربي - القتالي، وإعادة نماذج الانتشار الكامل للمنظومة الحربية الجديدة حول الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية، تحت غطاء مصطلح "المنظومات الدفاعية"¹.

3. ثورة القوة الفضائية:

في ظل تطور الأسلحة النووية وبداية الحرب الباردة، شرعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي في العمل على الأقمار الصناعية التي من شأنها أن تكون بمثابة إمتياز لهم في الفضاء، ومع إقرار معاهدة الفضاء الخارجي في شهر أكتوبر 1967، لم تقتصر أنظمة الأسلحة القائمة على الأقمار الصناعية سوى على استخدام الأسلحة التقليدية، ففي ستينيات القرن العشرين أجرى الاتحاد السوفياتي بحثًا سرًا حول الأقمار الصناعية العسكرية، وإخفاء الهدف الحقيقي الكامن وراء هذا البحث؛ اعتمدت الحكومة السوفيتية سياسة تسمية جميع الأقمار الصناعية العسكرية باسم "كوزموس"، ولقد تكتم السوفيات حول كل ما يخص هذا البرنامج

1 - مصطفى طلاس وآخرون، الإستراتيجية السياسية العسكرية، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص. 846.

الفضائي حتى يضمنوا عدم توصل الجواسيس إلى المعلومات المهمة إلى جانب كتمان أي إخفاق من المرجح أن يحدث¹.

فبحلول عام 1960، كان السوفيات قد كثفوا جهودهم لتطوير تكنولوجيا الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية حيث وقع تطوير الصاروخ الباليستي من نوع "أو آر 200"، الذي سيكون مسؤولاً عن إطلاق منصات الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية إلى المدار الخارجي للأرض، كما قام السوفيات كذلك بتجربة تسليح المحطات الفضائية العسكرية باستخدام المدفع الآلي "رختر ر-23"، ومنذ سبعينيات القرن العشرين، جرب الاتحاد السوفييتي أسلحة ذات طاقة موجهة (باستخدام الليزر) لتطبيقات الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية، وعلاوة على ذلك، طور السوفيات مركبة "بوليوس" الفضائية، وهي منصة أولية للأسلحة المدارية، مصممة لتدمير مبادرة الدفاع الاستراتيجي للأقمار الصناعية².

وبالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فإنها لم تعر أنظمة وتقنيات الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية أولوية كبيرة، وبداية من إدارة "إيزنهاور" وقع تصميم أسلحة بهدف القضاء على أقمار العدو، وفي أواخر خمسينيات القرن العشرين، بدأ سلاح الجو الأمريكي العمل على عدد من مشاريع الصواريخ الاستراتيجية المتقدمة تحت عنوان نظام الأسلحة "دبليو أس 199"، على غرار نظام الصواريخ الباليستية المضادة للأقمار الصناعية (بولد أوريون، آل ب م)، وعدا النظام ليشمل صاروخ "آلتير"، الذي منحه مدى واسعاً، وفي هذا الإطار لم تجر سوى رحلة تجريبية واحدة، كشفت أنها كانت محدودة الفعالية ما لم تكن مسلحة برؤوس حربية نووية، ومن بين المشاريع الأمريكية الأخرى نذكر صاروخ "هاي فيرغو" وهو صاروخ باليستي تم إطلاقه من قاذفة الطائرات النفاثة "كونفار بي 58 هاسلر"، حيث تجدر الإشارة إلى أنه تم إطلاق الصاروخ مرة واحدة فقط حيث أثبت عدم نجاعته بعد أن فقد الاتصال مع الصاروخ بعد وقت قصير من إطلاقه³.

1 - ماثيو .س. وليامز، مرجع سابق.

2 - نفس المرجع.

3 - نفس المرجع.

ولقد كان صاروخ "غام-87 سكاى بولت" آخر مشروع جرى تنفيذه في إطار برنامج "دبليو أس-199"، ففي شهر ديسمبر 1962 ألغى الرئيس الأمريكي السابق "كينيدي" هذا المشروع لأسباب سياسية واقتصادية، ولم يتم العمل مجدداً على تطوير الصواريخ الباليستية سوى في فترة ثمانينيات القرن العشرين، عندما حقق برنامج الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية الذي طوره الاتحاد السوفياتي نجاحاً واسعاً، وبدأت القوات الجوية الأمريكية العمل على تطوير "آي أس أم-135 أسات"، وهو صاروخ جو-أرض نووي، وفي شهر جانفي 1984، تم إطلاق هذا الصاروخ عمودياً في الفضاء بواسطة الطائرة المقاتلة "إف-15 إيغل" غير أنه قد حقق نجاحاً واحداً فقط وذلك في شهر سبتمبر 1985، وعلى الرغم من نجاحه، فقد تم إلغاء البرنامج سنة 1988 بسبب الميزانية¹.

وفي أوائل ثمانينيات القرن العشرين، طور الاتحاد السوفياتي نظام أسلحة مضاد للأقمار الصناعية أطلق عليه اسم "كونتاكت 30 بي 6"، حيث يتكون من صاروخ تم إطلاقه بواسطة طائرة "ميكويان ميغ-31"، وفي أواخر ثمانينيات القرن العشرين تم الكشف عن صاروخ "14 أف 11 ناريايد"، وهو سلاح مضاد للأقمار الصناعية، وذلك رداً على برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي الأمريكية، وعليه فقد طورت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي أقماراً صناعية خلال الحرب الباردة كانت مخصصة للاستطلاع والمراقبة العسكرية أو بالأحرى التجسس²، محدثين ثورة في القوة الفضائية أدت إلى زيادة التنافس ودخول دول أخرى إلى هذا المجال على غرار كل من اليابان وفرنسا والصين وإسرائيل.

4. مهام المراقبة عبر القوة الفضائية:

لقد ساد مفهوم عسكرة الفضاء خاصة في ظل تنافس القوى الكبرى على المجال الفضائي وتبلور فكرة استخدام هذا الفضاء كقوة، والذي مفاده؛ استخدام الفضاء لدعم العمليات الأرضية والجوية والبحرية، حيث تحيل هذه العبارة على تطوير المكتسبات التي ستركز في الفضاء مع بنية تحتية أرضية للإستخدام العسكري، مثل التحذير المبكر والاتصالات والتحكم والسيطرة

1 - ماثيو .س. وليامز، مرجع سابق.

2 - نفس المرجع.

والمراقبة (الإستشعار عن بعد) والوسائل التقنية الوطنية التي يمكن إستخدامها لأغراض التثبيت ولأغراض الجوسسة والإستخبارات، وباختصار تساعد عسكرة الفضاء على تحسين التحكم والسيطرة والاتصالات والجوسسة الإستراتيجية والميدانية الحربية وتوجيه الأسلحة نحو أهدافها¹.

وعليه قد قدم خبراء في مجال الفضاء مفهوماً متفقاً عليه لمصطلح عسكرة الفضاء، والذي قد وفره للمهتمين مدير معهد سياسة الفضاء التابع لجامعة جورج واشنطن "جون لوغسدون" بأنه: - تصف عسكرة الفضاء الحالات التي يستخدم خلالها الجيش الفضاء في الإضطلاع بالمهاك المنوطة بها.

- تسليح الفضاء: وضع نظم في الفضاء من شأنها أن تهاجم هدفاً يقع في الأرض أو في الجو أو في الفضاء نفسه².

ومن ثمة يرى الخبراء العسكريون الإستراتيجيون أن الولايات المتحدة الأمريكية بإنجازها منظومة الدفاع الفضائية المضادة للصواريخ، تكون قد امتلكت قدرة جبارة لتوجيه الضربة الأولى، ومنظومة دفاعية قوية ضد الصواريخ الباليستية المعادية العابرة للقارات في الوقت نفسه، فتتحقق فكرة الإستراتيجيين الأمريكيين ومنظري "فلسفة القوة" التي ترى أنه إذا ما توفر السيف الحاد والدرع المنيع فليس هناك ما يمنع من المجازفة بكبس أزرار الإطلاق وتوجيه الضربة الأولى التي تعني نهاية الخصم واستسلامه، دون قيد أو شرط فيما لو بقيت له قدرة على الإستسلام، وبهذا ستكون الضربة الأولى التي ستوجهها الولايات المتحدة الأمريكية متعمدة على تلك المنظومات النووية الاستراتيجية التي تجمع إمكانات القوة المضادة والمناعة الناجعة، وهو ما يؤمن لها عملياً تجريد الإتحاد السوفياتي من السلاح بضرية مفاجئة، وحرمانه من إمكانية توجيه ضربة جوابية فعالة، لأن الوسائل النووية الأمريكية غير المستخدمة ستكون حقيقية وجاهزة وفعالة، فيما سيكون الهدف الإستراتيجي المتمثل في العمل على أن تتفادى الأراضي الأمريكية كلها الضربة السوفياتية الجوابية مؤمناً.

1 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، مرجع سابق، ص 555 - 556.

2 - نفس المرجع، ص 556.

وبهذا تكون المنظومة الفضائية للدفاع الصاروخي، والعاملة مع جملة من المنظومات المضادة للأقمار الصناعية العاملة في وقت واحد من الفضاء والأرض، وباعتراف الاختصاصيين الأمريكيين البارزين، وفي مقدمتهم "ت - كيراس" معدوة لأن تقوم بدور العنصر الرئيسي في قوة الضربة الأولى سواء في:

- في الفضاء: لتحقيق إمكانية نسف الأقمار الصناعية السوفياتية.

- أو في الأرض: للقضاء على المخزون النووي والترسانات الصاروخية السوفياتية، باعتبار أن هذا الأمر كما أكد "ف.ايكل" نائب وزير الدفاع الأمريكي السابق، من شأنه أن يعرقل بشكل ملموس الضربة الجوابية¹.

وعلى كل حال يعلق الإستراتيجيون العسكريون الأمريكيون أهمية كبيرة على مسألة تدمير التوابع والأقمار وسفن الفضاء، لأن هذه الوسائط مرتبطة بمنظومات إنذارية مختلفة، وبمراكز توجيه وقيادة، وعليه فإن مهاجمة أي قمر صناعي يمكن أن تؤدي إلى شل عمل منظومة الإنذار وتشويش المراكز الأرضية، وإخراج الأقمار الصناعية عن مداراتها، مما يؤدي إلى عجز العدو ليس فقط عن اتخاذ التدابير الوقائية الفعالة ضد وسائط الضربة الأولى، بل وعن الرد أيضا مهما كان جزئيا ومتواضعا².

ولقد اقتضى الأمر من العسكريين البارزين وضع مخطط عام لشن الحرب الفضائية المقبلة وفقا للفكرة الإستراتيجية الكونية التي ترى ضرورة الإستحواذ على التفرد في فضاء القوة الفضائية، التي يتطلب تنفيذها العمل على تطوير وتحسين، وتحديث الأسلحة في اتجاهات ثلاثة بصورة متوازنة³، وهي:

1 - اتجاه نحو تطوير أسلحة الضربة الأولى: والتي مهامها تدمير القيادة العسكرية والسياسية للخصم، وكذلك تدمير وسائط أسلحة الضربة الجوابية المتوفرة لديه، وهو ما يجسده اليوم نصب صواريخ "بيرشينغ" و"كروز" في وسط أوروبا، تتوزع في خمسة دول أوروبية، وإنتاج الصاروخ

1 - مصطفى طلاس وآخرون، الإستراتيجية السياسية العسكرية، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص ص. 854 - 855.

2 - نفس المرجع، ص. 855.

3 - نفس المرجع، ص ص. 855 - 856.

الإستراتيجي العملاق من طراز "إم - إكس"، والصواريخ العابرة للقارات التي تطلق من الغواصات، والطائرات الثقيلة القاذفة والحاملة للسلح النووي من طراز "ب 1 ب".

2 - اتجاه نحو تطوير الأسلحة والوسائط المضادة للمحطات الفضائية والأقمار الصناعية: ومهمتها تدمير أجهزة الرقابة والاتصال والتوجيه، التي تمكن الخصم من كشف نيات الضربة الأولى وتوقعاتها، وهو ما يجسده اليوم برنامج تطوير الأسلحة الإشعاعية التي يخزن قسم منها على الأرض وقسم في الفضاء.

3 - اتجاه نحو تطوير الأسلحة المضادة للصواريخ العابرة للقارات: ذات الأمدية الإستراتيجية لضمان عدم وصول صواريخ الخصم إلى الأراضي الأمريكية، بعد توجيه الضربة الأولى، وهو ما تجسده اليوم برامج تسليح الفضاء المختلفة، وبرنامج منظومة الدفاع ضد الصواريخ من الفضاء، وإنشاء محطات فضائية للقيادة مأهولة ودائمة، وخزن المدافع الإشعاعية فيها، وتحقيق سبق في هذا المجال خاصة وأن السوفيات قادرون على وضع سلاح الليزر في المدار مع مطلع عام 1986، وخاصة أنه أيضا هناك ضرورات قصوى لمحطات الفضاء العسكري التي ستكون قادرة بدورها على تدمير الصواريخ النووية الباليستية بعد دقائق من إطلاقها.

ويترتب عن هذا بالتأكيد تشكيل قيادات فضائية من بين صفوف عناصر سلاح الجو والبحرية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما بدأ العمل به تحت إسم مختصر هو "USAF" وذلك بإشراف وكالة الفضاء الأمريكية، وهذه القيادات مكلفة بالإشراف على تحليقات الأقمار الصناعية العسكرية، وبرنامج مكوك الفضاء العسكري، وبرنامج الأسلحة الفضائية المضادة للصواريخ وتلك المضادة أيضا للأقمار الصناعية¹.

1 - مصطفى طلاس وآخرون، الإستراتيجية السياسية العسكرية، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص. 856.

المحور الخامس: فضاء القوة السيبرانية (الإلكترونية)

إن تطور الأشكال الجديدة للحروب والتهديدات الأمنية، قد جعل فضاء القوة السيبرانية ذا أهمية في الإستراتيجيات العسكرية وكذا المدنية، وأصبح بعدا خامسا من الفضاءات الإستراتيجية والذي لا يمكن الإستغناء عنه في الوقت الراهن لما له من أهمية قصوى تستطيع أن تؤثر حتى مجالات القوة الأخرى البرية، البحرية، الجوية والفضائية، إذ تستطيع أن تشمل عمل كل تلك الفضاءات، إذ لا يمكن عده فقط مجرد بعد جديد للفضاءات الأخرى، وإنما قد غير طبيعة الحرب بأكملها، ولذا سيتم في هذا المحور دراسة فضاء القوة السيبرانية من خلال تبيان خلفيتها النظرية للتحليل وكل ما يتعلق بهذه القوة المستجدة في حقل الدراسات الإستراتيجية والأمنية.

لقد أصبحت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية لكثير من الأشخاص في أنحاء العالم، إذ تقدم الاتصالات الرقمية والشبكات والأنظمة موارد حيوية كما تمثل بنية تحتية لا غنى عنها في كل جوانب المجتمع العالمي، وهي ضرورات لا يمكن لكثير من سكان العالم الإزدهار أو حتى البقاء بدونها، وهذه الهياكل والأنظمة تمثل ميدانا جديدا تقترن به تحديات جديدة للحفاظ على الأمن والاستقرار، حيث أن مدن العالم ومجتمعاته ستكون عرضة لهجمات تتسم بتنوع غير مسبوق وغير محدود، وهذه الهجمات يمكن أن تأتي دون مقدمات أو سابق إنذار، فالحواسيب والهواتف الخلوية تتوقف عن العمل فجأة كما أن شاشات آلات صرف النقد والآلات المصرفية تنطفئ في وجه العملاء وتتعطل أنظمة مراقبة الحركة الجوية والسكك الحديدية وحركة السيارات وتعم فوضى الطرق السريعة والجسور والممرات المائية وتتوقف السلع غير المعمرة - التي تتعرض للتلف سريعا - بعيدا عن السكان، ومع اختفاء الكهرباء تهوي المستشفيات والمساكن والمراكز التجارية بل ومجتمعات بأكملها في غياهب الظلام، ولن تستطيع السلطات الحكومية معرفة مدى الضرر أو الاتصالات ببقية العالم لإبلاغه بالكارثة أو حماية مواطنيها الضعفاء من الهجمات التالية، وهذه هي المحنة القاسية التي يواجهها مجتمع تعرض

للشلل بسبب ضياع شبكاته الرقمية في لحظة واحدة، وهذا هو التدمير الذي يمكن أن ينجم عن نوع جديد من الحروب هي "الحرب السيبرانية"¹.

ويلوح شبح التهديد بالحرب السيبرانية أكبر من أي وقت مضى، ففي الوقت الحالي أصبحت التقدمات التكنولوجية والبنية الرقمية المتنامية تربط مجتمعات بأكملها بعجلة أنظمة معقدة ومتشابكة، والطلب على الأنترنت والتوصيلية الرقمية يستدعي تكاملا متزايدا باستمرار لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات واندماجها في منتجات كانت تعمل من قبل بدونها، مثل السيارات والمباني بل وأنظمة المراقبة لشبكات الطاقة والنقل الشاسعة، فشبكات إمدادات الكهرباء وأنظمة النقل والخدمات واللوجستيات العسكرية - أي كل الخدمات المعاصرة تقريبا؛ تتوقف على استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستقرار الفضاء السيبراني، وعليه فـ "الفضاء السيبراني" هو العالم المادي والمفاهيمي الذي توجد فيه جميع هذه الأنظمة، ولذلك فإن "الحرب السيبرانية" يمكن أن تُفهم بصورة عريضة على أنها حرب تجري في الفضاء السيبراني باستعمال واستهداف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات²، إذ يمكن أن تسبب هجمات الحرب الإلكترونية وتلحق أضرارا كبيرة بكل من الدول والشركات من خلال سرقة كميات كبيرة من البيانات المصنفة كما من شأنها أن تعطل الإقتصاد³، وأن تحدث فوضى داخل الدول وبين السكان المدنيين، وممتد حتى إلى موارد الطاقة والنقل والدفاع⁴.

ومع تزايد الاعتماد العالمي على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تزايد أيضا التعرض للهجمات على البنية التحتية الحرجة من خلال الفضاء السيبراني⁵، فبتوسع انتشار المعلومات وترسخ استخدام الفضاء الخارجي في حياتنا اليومية، تزداد معه احتمالات الهجمات من قبل

1 - حمدون إ. توريه وآخرون، البحث عن السلام السيبراني، (جنيف: الإتحاد الدولي للاتصالات والاتحاد العالمي للعلماء للطبع، جانفي 2011)، ص. 6.

2 - نفس المرجع، ص ص 6 - 7.

3 - Steven Elliott, "Analysis on Defense and Cyber Warfare", July 08, 2010, (06/11/2019), see the link:

<http://infosecisland.com/blogview/5160-Analysis-on-Defense-and-Cyber-Warfare.html>

4 - حمدون إ. توريه وآخرون، مرجع سابق، ص. 7.

5 - نفس المرجع، ص. 7.

الجهات الفاعلة الخبيثة¹، وعلى الرغم أن المعالم الدقيقة لأي "حرب سيبرانية" لا تزال غير محددة فإن الهجمات الكبيرة ضد البنية التحتية للمعلومات وخدمات الإنترنت في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، تعطي صورة ما عن الشكل والنطاق المحتملين للنزاع في الفضاء السيبراني، وقد رُبطت الهجمات الإلكترونية التي تعرضت لها جورجيا، وكذا هجمات إستونيا وكوريا الجنوبية والولايات المتحدة الأمريكية بالحرب السيبرانية، كما رُبطت انقطاعات الكهرباء المتعددة في البرازيل بهجمات سيبرانية أيضا، ففي عام 2008 تمكن القرصنة من الدخول إلى الموقع الشبكي للحكومة والسيطرة عليه لمدة تزيد عن أسبوع، حيث توضح انقطاعات الكهرباء في البرازيل الاتساع المحتمل لأنواع الجديدة من الهجمات السيبرانية، وجاء في التقارير تشبيه المشهد بفيلم من أفلام الخيال العلمي حيث توقفت تماما قطارات الأنفاق وإشارات المرور وثاني أكبر محطة إنتاج قوى كهربائية وهو سد "إيتايبو"، وتأثر أكثر من 60 مليون شخص جراء ذلك².

إن تاريخي الهجمات الإلكترونية الضخمة التي تعرضت لها إستونيا في عام 2007م وتاريخ إصدار برنامج الألعاب الأولمبية عام 2010م، يعدان حدثان مهمان في العالم، فاعتبارا من هذين التاريخين فقد نشرت العديد من الوثائق الاستراتيجية في جميع العالم تقريبا، رغم أن هناك أحداث قد سبقت هذين الحثين بدأت في تسعينيات القرن العشرين، وعليه كان لا بد من الاهتمام إستراتيجيا بذلك من خلال زيادة الوعي بالفرص والقضايا والمخاطر المتعلقة بالفضاء السيبراني، لذلك أدمج ما يطلق عليه الآن "السيبراني" في مفاهيم أمن نظم المعلومات وأمن المعلومات، على المستوى العسكري وفي حرب المعلومات، وعمليات المعلومات وصولا إلى الدفاع عن الفضاء السيبراني³. ويشمل مفهوم الحرب السيبرانية استهدافا للقدرات والأنظمة العسكرية ووكذا استهداف البنية التحتية الحيوية للمجتمع - بما في ذلك الشبكات الذكية وشبكات المراقبة الإشرافية وحياسة البيانات - التي تسمح لها بالعمل والدفاع عن نفسها، حيث أن استخدام وسيط مختلف (الفضاء السيبراني وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات العاملة فيه) من طرف الأعداء فإنهم يستطيعون

1 - جون إس. ديفيس وآخرون، تهديدات مجهولة المصدر: نحو مساءلة دولية في الفضاء الإلكتروني، (كاليفورنيا: مؤسسة راند للطبع والنشر الإلكتروني، 2017)، ص. 1.

2 - حمدون إ. توريه وآخرون، مرجع سابق، ص. 7 - 8.

3 - جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص. 69 - 70.

بذلك نشر أسلحة والدخول في نزاع هجومي دفاعي يشبه إلى حد بعيد الحرب التقليدية، إذ تنطوي تكتيكات الحرب السيبرانية نمطيا على جمع البيانات أو التسلل إلى الأنظمة المحوسبة لإحداث الضرر في الأنظمة الحرجة، كما تشمل الأسلحة السيبرانية المحتملة؛ الفيروسات والديدان الحاسوبية وعمليات جمع البيانات السيبرانية وأجهزة تشويش اتصالات البيانات اللاسلكية وبرمجيات الحاسوبية المزيفة المشبوهة وأسلحة النبض الكهرومغناطيسي وأدوات استطلاعات الحاسوب والشبكات والقنابل الزمنية الطروادية المدمجة¹.

وعليه يعتبر الفضاء السيبراني نقطة الإنطلاق لصياغة الإستراتيجيات السيبرانية، فمن خلال الطريقة التي بها يوضع تعريف ومفهوم لهذا الفضاء تتبع وجهات النظر التي تعتمدها الإستراتيجيات، فالجيش الأمريكي - وكذلك الحال مع العديد من الدول الأخرى - يعتبر الفضاء السيبراني البعد الخامس في المعركة، ويمكن تعريف الفضاء السيبراني بأنه فضاء مكون من ثلاث طبقات: الطبقة الأولى تقنية وتكنولوجية ومادية وطبيعية، تمثل البنية التحتية للمواد، والطبقة الثانية تشمل التطبيقات البرمجية، أما الثالثة فهي نفس - معرفية، ويقال أيضا عن هذا الفضاء السيبراني أنه يتخطى الأبعاد التقليدية (البر والبحر والجو والفضاء)².

جدول رقم 02: أبرز الهجمات الإلكترونية (السيبرانية)

التأثير	السنة التي ظهر فيها	الحادث	تحديد المصدر في النطاق العام
اختراق بيانات حساسة واستخراجها	1986	مختبر لورنس بيركلي الوطني (الولايات المتحدة الأمريكية)	محاكمة جنائية في ألمانيا الغربية، 1990
استخراج بيانات حساسة من منظمات تشمل وكالة ناسا (NASA) ولوكهيد مارتن (Lockheed Martin) ومختبرات سنديا الوطنية (Sandia National) ومكتب التحقيقات الفدرالي فضلا عن	2003	تايتن رين Titan Rain (الولايات المتحدة الأمريكية)	عزته الحكومة والمصادر الخاصة في وسائل الإعلام بدرجة كبيرة إلى الصين في عام 2005، وهو ما عارضته الدولة لبصينية

1 - حمدون إ.، توريه وآخرون، مرجع سابق، ص ص. 8 - 9.

2 - جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص. 71.

	وزارتي الدفاع الأمريكية والبريطانية		
إتهمت الحكومة الإستونية جهات فاعلة حكومية روسية، وألقت روسيا باللائمة على حركة شبابية مؤيدة للكرملين وليست على جهات فاعلة ترعاها الدولة	هجمات قطع موزع للخدمة واسع النطاق على المواقع الإلكترونية الإستونية في إطار التوترات مع روسيا	2007	هجمات القطع الموزع للخدمة الإستونية (إستونيا)
عُزي بدرجة كبيرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، تسريبات من قبل مسؤولين أمريكيين	أضرار مادية بأجهزة الطرد المركزي الإيرانية، أصيبت بها أجهزة الكمبيوتر عالميا	2010	دودة ستوكنست (إيران)
تصور واسع النطاق لرعاية الدولة الإيرانية، تسريبات أولية من الحكومة الأمريكية وفي نهاية المطاف اتهام الجهات الفاعلة الحكومية الإيرانية في مارس / آذار 2016	هجمات القطع الموزع للخدمة على أكثر من 46 من أبرز المؤسسات المالية في الولايات المتحدة الأمريكية	2012	هجمات القطع الموزع للخدمة على المصارف الأمريكية (الولايات المتحدة الأمريكية)
في عام 2012 ربط مسؤولون أمريكيون الهجوم بإيران في وسائل الإعلام	مسح 35.000 جهاز كمبيوتر تابع لأرامكو السعودية أو تدميرها، هجوم مماثل في أواخر عام 2016	2012 و 2016	أرامكو السعودية (السعودية)
تبنى الجيش السوري الإلكتروني Syrian Electronic Army الهجوم	قرصنة حساب وكالة أسوشيتد برس على تويتر ونشر تغريدة كاذبة عن هجوم على البيت الأبيض مما أدى إلى هبوط حاد في أسعار الأسهم	2013	حساب وكالة أسوشيتد برس على تويتر (Associated Press) (الولايات المتحدة الأمريكية)
عُزي بدرجة كبيرة إلى روسيا ولكن لم تحدد الحكومة الأمريكية رسميا المصدر	اختراق كبير لأنظمة الكمبيوتر غير السرية	2014	البيت الأبيض ووزارة الخارجية (الولايات المتحدة الأمريكية)
عزاها الرئيس الأمريكي إلى جهات فاعلة حكومية كورية شمالية في ديسمبر/ كانون الأول 2014، وعزتها عملية أوبريشن بلوكباستر إلى Operation Blockbuster في مجموعة لازاروس Lazarus في عام 2016	سرقة بيانات حساسة وتسريبها، تعطيل كبير للأعمال	2014	سوني بكتشرز Sony pictures (الولايات المتحدة الأمريكية)

عزته الشركات الخاصة والباحثون بدرجة كبيرة إلى جهات فاعلة حكومية صينية	هجوم قطع موزع للخدمة كبير ومتواصل على موقع التعاون لتطوير البرمجيات	2015	غيت هاب GitHub (الولايات المتحدة الأمريكية)
عزته شركة فاير آي لمجموعة القرصنة الروسية آي بي تي 28 APT28 في جوان/ حزيران 2015	تعطّل القناة التلفزيونية لمدة 18 ساعة، أدى الحادث الممّوه إلى الإلقاء باللائمة على داعش	2015	قناة تي في 5 موند TV5 Monde (فرنسا)
عُزي بدرجة كبيرة إلى الصين علما أن الحكومة الأمريكية لم تحدد رسميا المصدر	استخراج 21.5 مليون سجل خاص بموظفي حكومة الولايات المتحدة الأمريكية	2015	المكتب الأمريكي لإدارة شؤون الموظفين (الولايات المتحدة الأمريكية)
عزاه المكتب الفدرالي لحماية الدستور BfV لمجموعة آي بي تي 28 في وسائل الإعلام في ماي/ يونيو 2016	استخراج ونشر 2.420 ملفا حساسا ينتمي للإتحاد الديمقراطي المسيحي الألماني (Democratic Union) (Christian)	2015	البرلمان الألماني (ألمانيا)
اتهم مسؤولون أوكرانيون روسيا؛ أشارت شركات خاصة إلى جهات فاعلة حكومية محتملة و/ أو مجرمين إلكترونيين	انقطاع الطاقة لساعات متعددة في محطات توزيع الطاقة الإقليمية وقطع الكهرباء عن 225.000 مستهلك	2016	شبكة الكهرباء الأوكرانية (أوكرانيا)
عزته شركة كراود سترايك CrowdStrike (جوان/ حزيران 2016) وتقرير مكتب مدير الاستخبارات القومية الأمريكي (جانفي/ يناير 2017) إلى جهات فاعلة حكومية روسية	استخراج وثائق خاصة باللجنة الديمقراطية الوطنية والحملة الانتخابية ونشرها؛ تدخّل بالانتخابات الرئاسية الأمريكية في عام 2016	2016	اللجنة الديمقراطية الوطنية DNC (الولايات المتحدة الأمريكية)
ربطه تقرير شركة سيمانتك بمجموعة لازاروس في ماي/ مايو 2016؛ ربطه تقرير وكالات الاستخبارات الأمريكية بدولة كوريا الشمالية وفقا لوسائل الإعلام في مارس/ آذار 2017	سرقة مبلغ 81 مليون دولار من حساب البنك المركزي في بنغلاداش لدى البنك الاحتياطي الفدرالي في نيويورك باستخدام نظام جمعية الاتصالات السلوكية واللاسلكية بين المصارف على مستوى العالم في الميدان المالي المصرفي (SWIFT)	2016	البنك المركزي في بنغلاداش (بنغلاداش)

لم يُحدد مصدر حتى تاريخه؛ نشطاء محتملون من القرصنة الإلكترونية و/ أو عملية داخلية	تسريب 11.5 مليون وثيقة تمثل أكثر من 214.488 كيانا خارجيا، أدت إلى تهم عديدة بالتهرب الضريبي والفساد	2016	موساك فونسيكا Mossack Fonseca (بنما)
لم يُحدد المصدر رسميا؛ عُزي بدرجة كبيرة إلى منظمة قرصنة ناشطة مثل أنونيموس (Anonymous) أو نيو وورلد هاكرز (New World Hackers) أو سباين سكواد (SpainSquad)	هجوم قطع موزع للخدمة باستخدام شبكة مصابة من أجهزة أنترنت الأشياء، استهداف مزود نظام أسماء النطاقات دين وعطل عددا كبيرا من المواقع الإلكترونية	2016	دين Dyn (الولايات المتحدة الأمريكية)
لم يُحدد المصدر رسميا؛ ربطته بعض الشركات الخاصة بمجموعة لازاروس، ألقت روسيا باللائمة على الولايات المتحدة الأمريكية لابتكارها برمجة إكسبلويت (Exploit) القادرة على تفعيل برنامج واناكراي	هجوم برنامج فدية طال قطاعي الرعاية الصحية والنقل والبنية التحتية للإتصالات في جميع أنحاء العالم	2017	واناكراي (عالميا)

المصدر: جون إس. ديفيس وآخرون، مرجع سابق، ص 7 - 8.

يعرض الجدول أعلاه الجدول الزمني لأبرز الحوادث الإلكترونية التي تنطوي على هجمات عابرة للحدود الوطنية، وحسب "جون إس. ديفيس" وآخرون في مؤلفهم "تهديدات مجهولة المصدر: نحو مساءلة دولية في الفضاء الإلكتروني" الصادر عن مؤسسة راند RAND سنة 2017، فإن هذه الهجمات قد ترتبت عليها تداعيات جغرافية سياسية، وقد شملت هذه الحالات المذكورة في الجدول على سبيل المثال ضحايا من الحكومات وغير الحكومات، مما أدى إلى مجموعة متنوعة من التأثيرات كالأضرار المادية واستخراج البيانات والخسائر المالية، حيث يعرض الجدول الحادث والسنة التي ظهر فيها، وتأثيره إضافة إلى تحديد المصدر في النطاق العام والأطراف ذات الصلة.

1. الخلفية النظرية للتحليل:

من خلال الاعتبارات السابقة الذكر حول طبيعة الفضاء السيبراني، يمكن أن تظهر توابع أخرى قابلة للنقاش، فلا تستطيع الدول أن تعبر عن سيادتها في الفضاء السيبراني، لأن اعتماد

الناس على هذا البعد التكنولوجي يجعله عرضة بشكل خاص للأعمال العدائية، فلا يزال المهاجمون السيبرانيون يتمتعون بمميزات تفوق إمكانات المدافعين بسبب التأثير المفاجئ الذي لا يمكن أن يقلل من قوته أي أسلوب أمني أو دفاعي سلبي أو حتى إيجابي بشكل تام، كما أن هؤلاء المهاجمين يمتلكون القدرة على إخفاء آثارهم، ولا تسمح الحالة المعرفية بوضع توصيف دقيق للعمليات التي تحدث في الفضاء السيبراني، الأمر الذي يجعلنا في مواجهة جميع الاحتمالات¹.

وطبقا لمجموعة من الافتراضات الأساسية، تصاغ الإستراتيجيات السيبرانية على مستويات مختلفة: الدفاع (المسلح)، والجهات الفاعلة في الدولة المدنية (وزارات العدل والداخلية والصناعة والاتصالات على سبيل المثال)، والجهات الفاعلة الإقتصادية (الشركات)، كما يمكن أن تختلف الإستراتيجيات السيبرانية تبعا لمعايير محددة:

1 - الثقافة الإستراتيجية التي تعتمد بشكل خاص على المعتقدات المشتركة والتصورات والتاريخ والهوية الجماعية والعلاقة مع الدول الأخرى، ومدى قبول المعايير الدولية، وبالنسبة إلى الدول الصغيرة، تعد الحرب غير المتماثلة جزءاً من التاريخ العسكري، فهل ستدخل استراتيجية الدفاع السيبراني بشكل تلقائي في هذا المضمارة؟ على العكس، لا يمكن للدول الكبرى اعتماد استراتيجيات غير متماثلة في الفضاء السيبراني.

2 - توصيف التهديدات والتحديات والأولويات.

3 - طبيعة الدولة: دولة كبيرة أو صغيرة، وهل لدى الدول الصغيرة الأهداف نفسها مثل الدول الكبيرة؟ وهل تستطيع الدول الصغيرة المطالبة باستغلال الفضاء السيبراني لمواجهة التحديات نفسها التي تواجهها الدول الكبيرة؟

4 - تعريف الفضاء السيبراني: في الحقيقة يبدو أن الإستراتيجية التي حددتها وزارة الدفاع الأمريكية في العام 2011م تمنح الطبقة المادية للفضاء السيبراني أهمية أكبر من غيرها، بحيث يعمل الخيار الناتج عن هذه الطبقة على استخدام وسائل الدفاع لحماية البنية التحتية المادية على حساب الجوانب الإجتماعية والمعرفية للفضاء السيبراني.

1 - جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص. 71

5 - تأثير الدول المسيطرة: هل صيغت العديد من الإستراتيجيات الوطنية في السنوات الأخيرة على غرار النماذج التي فرضتها الدول المهيمنة؟ وهل يوجد تأثير وانتشار لقواعد ومبادئ تفرضها هذه الدول المهيمنة؟ إن التحليل المقارن للإستراتيجية الوطنية يجب أن يحدد ويحلل ويشرح أوجه الاختلافات والتشابهات القوية، ومن المحتمل أن تتضح من خلال الإستراتيجيات السيبرانية؛ مجموعة العلاقات الدولية وحقائق المشهد الدولي وكذا القيود التقنية.

6 - يعتمد تطوير المعايير الدولية للأمن السيبراني اعتمادا كبيرا على الاستراتيجيات الوطنية الكبرى¹.

وانطلاقا من النقطة الأخيرة؛ فقد حولت الدول بعض موارد الميزانية إلى مبادرات الفضاء السيبراني، حيث وضعت جانبا مبالغ كبيرة خصصتها للبحث وتطوير قدرات الحرب السيبرانية، كما أعلنت حكومات عديدة عن خطط وطنية متكاملة وبدأت تنفيذها للتصدي للتهديدات السيبرانية الجديدة، وتعبئة قطاعات متعددة وتحويل الموارد والاستراتيجية تحويلا تاما، ويمكن أن يشمل هذا النوع من التحويل تدريب الموظفين العسكريين (أو إعادة تدريبهم)، وتحديث خدمات الاستخبارات للتركيز على جمع المعلومات العلمية والتكنولوجية ذات الصلة وإجراء عمليات محاكاة للحرب السيبرانية، والمناورات العسكرية مع إيلاء اهتمام خاص لتطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وقد بادرت دول عديدة إلى إجراء مسابقات وطنية لتحديد أفضل الأذهان السيبرانية من بين سكانها المدنيين وتعيينهم، وشجعت الاقتصاديات المحلية على تطوير قدرات تكنولوجية معززة لدعم الاستراتيجية العسكرية الجديدة، وتعكف بعض الحكومات أيضا على إقامة مجموعة من القراصنة المدنيين من القطاع الخاص الذين يمكن اللجوء إليهم عند الحاجة، ويمكن أن تكون هذه الجهات الناشطة في مجال القرصنة، أفرادا متخصصين في مجال التكنولوجيا أو حتى قراصنة سابقين غير شرعيين تم تعيينهم وتدريبهم لاستخدام مهاراتهم لأغراض الأمن الوطني، وقد تلجأ بعض الدول إلى الاستعانة بوكلاء وقرصنة ومتخصصين من دول أخرى يعملون بالنيابة

1 - جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص ص. 71 - 72.

عنها، وتبين هذه التغييرات كلها التحول عن استراتيجيات رد الفعل إزاء التهديدات السيبرانية وإعادة توجيه نحو تطوير نُهج استباقية لحرب المعلومات للعمل بفعالية في ظروف التكنولوجيا العالية¹. وبما أن الفضاء الإلكتروني (السيبراني) يرتبط بالجغرافية فإنه حسب رؤية الباحثة "إبتسام عبد الزهرة العقبي" وفقا لدراسة قدمتها عام 2018م عنوانها "الصراع الجيوستراتيجي الأمريكي - الروسي في الفضاء الإلكتروني"، فإن الصراع سيكون حسب التطور التكنولوجي، من خلال علاقته بالمجالات الجغرافية التي يغطيها وهي (الأرض- الجو- البحر - الفضاء)، وعليه فإن نتيجة التوجه التكنولوجي تتجه نحو عولمة العالم اقتصاديا وثقافيا وسياسيا وخلق مركز القلب له، ليكون نقطة التحكم والتوجيه في المستقبل، حيث سيدفع إلى وضع نظرية أخرى ستكون قيد التطبيق مستقبلا، وهي تقوم على:

1 - أن من يسيطر على المعرفة ويمتلكها ويتحكم بها، سيطر على المجال الخامس (الفضاء الإلكتروني/ السيبراني).

2 - أن من يسيطر على الفضاء الإلكتروني/ السيبراني، سيطر ويتحكم في المجالات الجغرافية الأربعة (البر - البحر - الجو - الفضاء).

3 - ومن يسيطر على المجالات الجغرافية الأربعة، سيطر على العالم، (والمقصود هنا كل من آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية والجنوبية)².

إن العالم في ظل التطور التكنولوجي المتزايد سينقسم إلى ثلاثة أقسام، وعليه لا بد من امتلاك المعرفة الإلكترونية والتي ستشجع الدول التي تمتلكها على بدء حرب باردة إلكترونية فيما بينها، وتتمثل تلك الأقسام في مايلي:

1 - حمدون إ. توريه وآخرون، مرجع سابق، ص ص. 80 - 81.

2 - إبتسام عبد الزهرة العقبي، "نظرية قلب الأرض بين الجغرافيا والفضاء الإلكتروني (رؤية مستقبلية)"، (2019/02/10)، نقلا عن الرابط التالي:

<https://ibtisamalikabi.wordpress.com/2018/05/05/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%82%D9%84%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B1%D8%B6-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%BA%D8%B1%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A7-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B6%D8%A7%D8%A1/>

1 - دول (أ) تمتلك المعرفة وتسيطر بها عبر الفضاء الإلكتروني على دول (ب) الغنية بموارد الثروة التي لا تملكها دول (أ).

2 - دول (ب) لا تمتلك المعرفة ولكن تعمل بها بإشراف دول (أ)، وهي تحت السيطرة والتحكم والإستغلال.

3 - دول (ج) لا تمتلك المعرفة ولا تشكل أهمية لدول (أ) وهي تعيش تحت خط الفقر¹. ولكي نتوصل إلى معرفة القوى التي ستكون لها يد السيطرة على المعرفة والتكنولوجيا والتي ستتمكن من السيطرة على المجالات الجغرافية الأربعة، لتتمكن مستقبلا من السيطرة على العالم، فإنه لا بد من أن يكون فيها مستوى التطور والتقدم العلمي والتكنولوجي عال في الفضاء الإلكتروني، وهذا ما يتبين من خلال نسبة استخدام الأنترنت في العالم حسب الجدول التالي:

جدول رقم 03: استخدام الأنترنت حسب المناطق لسنة 2015

المنطقة	نسبة استخدام الأنترنت
أمريكا الشمالية North America	88%
أمريكا الوسطى Central America	43%
أمريكا الجنوبية South America	56%
أوروبا الغربية West Europe	81%
شرق أوروبا East Europe	58%
آسيا الوسطى Central Asia	39%
شرق آسيا East Asia	52%
جنوب شرق آسيا South Heast Asia	36%
جنوب آسيا South Asia	19%
الشرق الأوسط	36%
إفريقيا	26%
أوقيانوسيا	69%

المصدر:

Simon Kemp, Digital, Social, And Mobile in APAC 2015, March 2015, Singapore, p.9. (see the link: <https://www.iab.org.nz/wp-content/uploads/2015/11/Digital-Social-and-Mobile-In-APAC-2015.pdf>)

1 - إبتسام عبد الزهرة العقبى، مرجع سابق.

وحسب الجدول فإن أعلى نسبة استخدام الأنترنت في العالم، هي في كل من أمريكا الشمالية بنسبة 88% وتليها أوروبا الغربية بنسبة 81%، أما عن أضعف نسبة فكانت في كل من إفريقيا بـ 26% وجنوب آسيا بـ 19%، وهو ما يبين أهمية الوصول والحصول على المعرفة والتكنولوجيا كسبيل للسيطرة على العالم في خاصة في ظل اقتصاد المعرفة الذي تتجه له وتوليه اهتماما الدول الكبرى.

2. استراتيجيات الأمن السيبراني:

تحدد استراتيجيات الأمن السيبراني الأهداف السياسية والتدابير الواجب اتخاذها والمسؤوليات، وذلك من أجل ضمان حماية الشبكات والأنترنت والقضاء السيبراني الذي تعتمد عليه المجتمعات الحديثة المرتبطة بهذه التقنيات، وتشمل هذه الإستراتيجيات سرية عمليات التبادلات، وتكامل البيانات، وتوفير الأنظمة والحماية ضد الخلل التقني والهجمات السيبرانية، وذلك من خلال الأولويات المتاحة لتأمين البنية التحتية الخاصة بالمعلومات الحساسة، ويمكن أن تكون استراتيجيات مكافحة الجريمة السيبرانية (في المملكة المتحدة سنة 2010م، نيوزلندا سنة 2007م، مقترحات صيغت من قبل الجهات الفاعلة الخاصة) متميزة عن استراتيجيات الأمن الإنساني¹.

ويمكن إدراج تدابير مكافحة الجريمة السيبرانية ضمن إستراتيجيات الأمن السيبراني، وفقا لنمط تقليدي من العقوبات المدنية الجنائية التي تطبق على الجرائم والجرح التي ترتكب باستخدام أدوات الحاسوب، ومع ذلك فإن مكافحة الجريمة السيبرانية لا تتدرج بشكل متكامل ضمن استراتيجية الأمن السيبراني (فحالات الغش مثلا، لا تدخل في إطار الجرائم التي تتضمنها مكافحة الجريمة السيبرانية، ولكنها ليست خاصة بالأمن السيبراني)².

لقد استجابت دول عديدة للتهديد الجديد للحرب السيبرانية وذلك من خلال تكليف عدد كبير من الأفراد العسكريين بمهمة القتال الافتراضي، ويمكن أن يشمل هذا التحول السياسي إنشاء فرق حربية للإنترنت تكون مكرسة لتحقيق الأمن السيبراني، ويمكن دمجها في وكالات استخبارات

1 - جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص ص 72 - 73.

2 - نفس المرجع، ص 73.

أخرى، أو حتى إنشاء قطاعات جديدة تماما ضمن الهيكل العسكري المكرس للنشاط السيبراني، وتقام هذه العدة العسكرية الجديدة لدمج وإعداد الموارد العسكرية من أجل جميع أنواع عمليات الفضاء السيبراني، كما يمكن أن تكون أيضا مسؤولة عن تأمين الشبكات الخاصة التي تشغل جزءاً كبيراً من العمليات العسكرية، وإن كان تركيزها في المقام الأول على حماية الشبكات العسكرية وتسيير العمليات العسكرية في الفضاء السيبراني¹.

ووفقاً لدراسة نشرها الإتحاد الدولي للاتصالات، سيكون هيكل استراتيجية الأمن السيبراني على النحو التالي: تحديد إطار العمل الوطني، وتحديد السياسة الوطنية للأمن السيبراني، والمشاركة في الردود الوطنية، وتحديد الوزارات والوكالات الرئيسية التي تحتاج إلى ممارسة الدور القيادي فيما يتعلق بالأمن السيبراني، وتحديد مهمات هذه الوزارات والوكالات، وتحديد المشاركين الرئيسيين الآخرين الذين يتحملون مسؤوليات في مجال الأمن السيبراني، وتحديد المهمات المنوطة بهم ضمن منظمة الأمن السيبراني، وتحديد البنية التي يجب استخدامها لتطوير سياسات الأمن السيبراني، ووصف مهمات هذه البنية، وتحديد الهياكل المستخدمة حالياً ضمن عمليات الأمن السيبراني، ووضع توصيف لمهامها من خلال التعاون بين ما هو عام وما هو خاص (تحديد أهداف وبنية التعاون بين القطاعين العام والخاص، وتحديد أهداف وبنية التعاون لخلق الثقة بين القطاعين العام والخاص)، وتحديد قدرات إدارة الحوادث، وتحديد بنية إدارة الحوادث، وتحديد وتعريف أولويات إدارة الحوادث، وتحديد الإطار القانوني، وتحديد أهداف التكيف مع الإطار القانوني المتعلق بالجريمة السيبرانية وثقافة الأمن السيبراني، وتحديد أهداف لبناء ثقافة وطنية للأمن السيبراني، والمتطلبات الإضافية وتحديد الطريقة التي ستوضع من خلالها أهداف الإستراتيجية الوطنية مع الإعلان عنها وتحديد الميزانيات والموارد اللازمة وتحديد جدول التنفيذ وتحديد أدوات القياس والأهداف².

1 - حمدون إ. توريه وآخرون، مرجع سابق، ص. 82.

2 - نفس المرجع، ص. 73.

جدول رقم 04: إحصائية "استراتيجيات الأمن السيبراني/ الدفاع السيبراني" في العالم (مرتبة وفقا للدول)

السنة	الدولة	وثيقة الإستراتيجية السيبرانية
2010	جنوب إفريقيا	سياسة الأمن السيبراني في جنوب إفريقيا
2011	ألمانيا	إستراتيجية الأمن السيبراني لألمانيا
2009	أستراليا	إستراتيجية الأمن السيبراني
2013	النمسا	إستراتيجية الأمن السيبراني النمساوي
2010	كندا	إستراتيجية الأمن السيبراني الكندي
2011	كوريا الجنوبية	الإستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني
2013	إسبانيا	الإستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني
2008	إستونيا	إستراتيجية الأمن السيبراني
2011	الولايات المتحدة الأمريكية	الإستراتيجية الدولية للفضاء السيبراني
2013	فنلندا	إستراتيجية الأمن السيبراني في فنلندا
2011	فرنسا	دفاع وأمن أنظمة المعلومات - إستراتيجية فرنسا
2013	المجر	الإستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني
2013	الهند	السياسة الوطنية للأمن السيبراني
2013	اليابان	الإستراتيجية الدولية للأمن السيبراني - مبادرة الأمن السيبراني
2013	اليابان	إستراتيجية الأمن السيبراني
2013	اليابان	إستراتيجية أمن المعلومات لحماية الأمة
2013	كينيا	الإستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني والتخطيط الشامل
2011	لتوانيا	برنامج تطوير أمن المعلومات الإلكترونية (الأمن السيبراني) في الفترة 2011 - 2019
2011	لوكسمبورغ	الإستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني
2013	ماليزيا	إستراتيجية الأمن السيبراني
2013	الجبل الأسود	إستراتيجية الأمن السيبراني في الجبل الأسود حتى العام 2017
2013	النرويج	إستراتيجية الأمن السيبراني للنرويج
2011	نيوزيلندا	إستراتيجية الأمن السيبراني في نيوزيلندا
2013	أوغندا	الإستراتيجية الوطنية لأمن المعلومات
2011	هولندا	الإستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني
2013	هولندا	الإستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني 2
2010	بولندا	سياسة حماية الفضاء السيبراني - جمهورية بولندا 2011 - 2016

2011	جمهورية تشيكيا	إستراتيجية الأمن السيبراني في جمهورية تشيكيا في الفترة 2011 - 2015
2011	رومانيا	إستراتيجية الأمن السيبراني وخطة العمل الوطنية التنفيذية الخاصة بالأمن السيبراني الوطني
2009	المملكة المتحدة	إستراتيجية الأمن السيبراني في المملكة المتحدة
2011	المملكة المتحدة	إستراتيجية الأمن السيبراني في المملكة المتحدة
2013	المملكة المتحدة	الإستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني
2000	روسيا	عقيدة أمن المعلومات في روسيا الإتحادية
2013	سنغافورة	التخطيط الوطني الثالث للأمن السيبراني
2008	سلوفاكيا	الإستراتيجية الوطنية لأمن المعلومات في جمهورية سلوفاكيا
2012	سويسرا	الإستراتيجية الوطنية لحماية سويسرا من المخاطر السيبرانية
2012	ترينيداد وتوباغو	الإستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني
2013	تركيا	الإستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني وخطة العمل 2013 - 2014
2013	الإتحاد الأوروبي	إستراتيجية الأمن السيبراني للإتحاد الأوروبي - الفضاء السيبراني المفتوح والسليم والأمن

المصدر: جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص. 74 - 76.

وتشير دراسة حول الأمن السيبراني نشرتها منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية (OCDE) سنة 2012 إلى أن هذه القضية أصبحت واحدة من أولويات السياسات الوطنية باعتبارها المحور الأساسي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأن الإستراتيجيات الوطنية تتشارك في العديد من المبادئ (يجب أن تتولى الحكومات المسؤولية عن سياسات الأمن السيبراني من خلال التعاون المشترك بين مختلف الوزارات والوكالات بغرض تعزيز التعاون بين القطاعين العام والخاص والتعاون الدولي من دون تجاهل احترام القيم الأساسية مثل حرية المعلومات والوصول إلى الأنترنت)، ولا تزال الإعتبارات السيادية الخاصة بتطوير سياسات الأمن السيبراني سنة 2012 قليلة من حيث الشراكة بين الدول التي سُلِّطَ الضوء عليها في هذه الدراسة، كما ظلت هذه الإعتبارات محورية في العام 2013 بعد الكشف عن البرامج الأمريكية للمراقبة السيبرانية في مواجهة الوعي المتزايد بمخاطر وسائل التجسس السيبرانية من قبل القوى الأجنبية¹.

1 - جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص. 76.

الإستراتيجيات السيبرانية الدفاعية:

نُشرت العديد من الدراسات المقارنة الدولية للإستراتيجيات السيبرانية في السنوات الأخيرة، إذ تشير دراسة نشرتها مؤسسة راند Rand الأمريكية في عام 2013 حول دور وكالة الدفاع الأوروبية (EDA) إلى أن أغلب هذه الدول لا تزال في مرحلة مبكرة من أجل وضع تعريف للإستراتيجيات السيبرانية التي تتعلق بالأمن السيبراني والدفاع السيبراني أو الحماية السيبرانية للبنية التحتية الحيوية¹، وفي مايلي الإستراتيجيات السيبرانية الدفاعية لبعض الدول:

جدول رقم 05: الإستراتيجيات السيبرانية الدفاعية لبعض الدول

السنة	الدولة	النص
2010	كوريا الجنوبية	ورقة الدفاع البيضاء
2011	الولايات المتحدة الأمريكية	إستراتيجية وزارة الدفاع للعمل في الفضاء السيبراني الوثيقة التي تأثرت بالإستراتيجية العسكرية الوطنية NMS-CO للعام 2006 لعمليات الفضاء السيبراني
2011	فرنسا	الدفاع وأمن أنظمة المعلومات - إستراتيجية فرنسا
2012	هولندا	إستراتيجية الدفاع السيبراني
2011	حلف الشمال الأطلسي	سياسة حلف الشمال الأطلسي (الناتو) الدفاعية
2004	الولايات المتحدة الأمريكية	الإستراتيجية العسكرية الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية (بما في ذلك الفضاء السيبراني الذي يعتبر ضمن مجالات الفضاء المستخدم ساحة للمعارك) - هيئة الأركان المشتركة
2006	الولايات المتحدة الأمريكية	الإستراتيجية العسكرية الوطنية لعمليات الفضاء - هيئة الأركان المشتركة - تقديم (NMS-CO) السيبراني إطار إستراتيجي لضمان تفوق الجيش الأمريكي في الفضاء السيبراني

المصدر: جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص ص. 78 - 79.

بعض إستراتيجيات الدفاع السيبراني:

تحدد "استراتيجية وزارة الدفاع الإجرائية في الفضاء السيبراني" الأمريكية لعام 2011 خمسة مجالات إستراتيجية وهي: ينبغي اعتبار الفضاء السيبراني مجالاً إجرائياً بشكل كامل، ويجب

1 - جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص. 78.

حماية شبكات الدفاع باستخدام مفاهيم إجرائية جديدة في مجال الدفاع، ويجب أن يتحرك الدفاع بالتعاون مع وكالات حكومية أمريكية أخرى ومع القطاع الخاص، ويجب أن تنشأ علاقات مع الحلفاء والشركاء الدوليين لتعزيز الأمن السيبراني، ويجب زيادة القدرات التي تتعلق بالموارد البشرية للدفاع السيبراني، وقد جرى تقديم العديد من الموضوعات التي نوقشت في "الإستراتيجية الوطنية لحماية الفضاء السيبراني" في شهر فيفري 2003، والتي حددت ثلاث أولويات وهي: منع الهجمات السيبرانية ضد البنية التحتية الحيوية، والحد من الضعف الوطني لمواجهة الهجمات السيبرانية، وتقليل الأضرار، وتظهر هذه الموضوعات أيضا من خلال "الإستراتيجية الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية" لعام 2004، والتي حددت الفضاء السيبراني باعتباره ضمن مجالات المواجهة العسكرية، كما توجد هذه الموضوعات ضمن "الإستراتيجية العسكرية الوطنية لعمليات الفضاء السيبراني (NMS-CO) لعام 2006 والتي تركز على الأمن السيبراني وتعمل على تقديم تعريف للفضاء السيبراني، وتحديد التهديدات ومواطن الضعف، وتقترح العديد من المحاور مثل الحاجة إلى الإستثمار في مجال العلوم والتكنولوجيا وتطوير الشراكات في مجال الصناعة والوكالات الحكومية والدول الأخرى، وكذلك في مجال تنمية الموارد البشرية¹.

إن الأولويات الإستراتيجية تهدف إلى الحصول والحفاظ على المبادرات بغرض التحرك من داخل دائرة صنع قرار الخصم، وأيضا دمج قدرات الفضاء السيبراني ضمن إطار العمليات العسكرية وبناء القدرات الخاصة بعمليات في الفضاء السيبراني وإدارة مخاطر العمليات، وعليه فإن الإستراتيجيات قد أصبحت عامة لا تتناول طرق الإثبات (كإسناد الهجمات) كما أنها لا تحدد أيضا الحد الأدنى الذي تلجأ فيه الهجمات السيبرانية إلى استخدام القوة (وهي تستحق بذلك الرد العسكري)².

وفي هذا الصدد كتب الأمريكي "روبرت كنيك Robert K. Knake" تقريرا صدر شهر سبتمبر 2010م عنوانه "حوكمة الأنترنت في عصر إنعدام الأمن الإلكتروني Internet Governance in an Age of Cyber Insecurity" بأن التركيز على تقييد تطوير الأسلحة

1 - جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص. 79.

2 - نفس المرجع، ص. 79 - 80.

الإلكترونية، ينم عن عدم فهم للطبيعة الحقيقية للحرب السيبرانية، فالتحديات المتقدمة في الفضاء السيبراني لا تكمن في "البوتات bots" أو الديدان worms"، وإنما في العنصر البشري، والسلاح الأقوى ليس "القنابل المنطقية" أو "أحصنة طروادة" - وهما عبارة عن برامج خبيثة مهاجمة - وإنما في البشر الذين يصممونها والذين يمكنهم استخدامها بوصفها جزءاً من مجهود مستمر منظم، للوصول إلى النظم المستهدفة واستغلالها، سعياً لنيل الميزات المعلوماتية وإفساد البيانات أو تدميرها، وعلاوة على ذلك فإن أي برنامج دفاعي يتطلب إتقان العمليات الهجومية، حتى يمكن صد تلك العمليات الهجومية، وفي الحرب الإلكترونية نجد أن القدرة على استنساخ البرامج الحاسوبية يمكنها أن تتحول بسرعة إلى عمليات هجومية¹، ولهذا فهو يدعو في تقريره إلى أن تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على كبح الأطراف الفاعلين ذوي النيات الخبيثة، ووضع القواعد المضادة لاستهلال الصراعات في الفضاء الإلكتروني، وحسب رأيه فإن هذا مدعاة إلى السيطرة على الفضاء الإلكتروني أي السيبراني.

كما نشرت وزارة الدفاع الهولندية في شهر جوان 2012 إستراتيجية سيبرانية، أطلق عليها أيضاً وزير الدفاع في البيان الإستهلاكي المرفق بالنشرة "إستراتيجية الدفاع للعمل في الفضاء السيبراني"، حيث تندرج هذه الإستراتيجية الدفاعية ضمن الإستراتيجية السيبرانية الوطنية ولا تُعتبر إلا أحد مكوناتها، إذ يعتبر الفضاء السيبراني نقطة البداية لهذه الإستراتيجية الدفاعية؛ إنه البعد الخامس للقتال (ولكنه لا يعتبر أكثر تحديداً إذا لم يُشر إليه بوصفه معقداً ومطوراً)، أين تتوفر الأدوات الرقمية ومعدات الفعل في الفضاء السيبراني كالأسلحة (الأسلحة السيبرانية) وأدوات الإستخبارات².

وتستند الإستراتيجية إلى فكرة لا تزال غير محددة (فضاء الأنترنت) وأيضاً إلى خطاب يثير المخاوف، إذ أن اعتماد الجيوش على هذه الأنظمة يخلق نقاط ضعف يمكن أن تشكل في القدرات الإجرائية للقوات، كما أن الهدف الذي حددته هذه الإستراتيجية ينحصر في ضمان السيطرة الكافية

1 - روبرت كنيك، حوكمة الأنترنت في عصر إنعدام الأمن الإلكتروني، (ترجمة: بدر الدين دبسي)، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2011)، ص. 35.

2 - جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص. 80.

على الفضاء السيبراني، باستخدام الأسلحة السيبرانية والأدوات المخابراتية وبناء وسائل الدفاع السيبراني لحظر أفعال الخصم، ولحد من نقاط الضعف، يجب على القوات أن تزيد من المرونة السيبرانية وعليها أن تزيد من سيطرتها من خلال تنمية قدراتها على إدارة العمليات السيبرانية، ولتحقيق هذه الأهداف تقترح الإستراتيجية نظام قيادة وتحكم مركزي (حيث يمكن الإستدلال بالمنطق العسكري الهرمي) وسيكون وحده القادر على إدارة المشاكل المتعلقة بالفضاء السيبراني المعقد وتطوره السريع، كما تدعو الإستراتيجية إلى اتباع نهج عالمي، أي أن تعرف كيف تتجاهل الحدود الفاصلة بين المدنية والعسكرية وبين العام والخاص، وعليه فلا يمكن أن يتوقف إسهام الجيش في مجال الدفاع عن أنظمتها الخاصة، إذ يمكن للهجوم السيبراني أن يؤثر في منظمة مدنية أو قطاع صناعي أو دولة... إلخ، ولتحقيق الأهداف العامة، تقترح الإستراتيجية ستة مسارات للفعل¹:

- تبني نهج عالمي (عن طريق إنشاء قيادة سيبرانية في عام 2014 تقدم قدرات دفاعية وهجومية).

- تعزيز الدفاع السيبراني للقوات المسلحة (عناصر دفاعية، وحماية أنظمة الدفاع، وفريق الإستجابة للطوارئ الحاسوبية).

- تطوير القدرات العسكرية لإدارة العمليات السيبرانية (عناصر هجومية تستند إلى الوثيقة التي تتعرض لآفاق التنمية لا تزال مهمة جدا، وفيها تكون الدول عند نقطة البداية)، وهنا يمكن طرح مسألة تقييم فعالية استخدام الأسلحة السيبرانية.

- تقوية المجال الإستخباراتي في الفضاء السيبراني.

- تعزيز قدرات الابتكار وتوظيف الأشخاص المؤهلين.

- تكثيف التعاون على الصعيدين الوطني والدولي².

ويمكننا التعليق بإيجاز على هذا النهج الإستراتيجي من ناحيتين، فبينما تتادي السلطات العسكرية بنظام قيادة وسيطرة مركزي، فإنها تدعو إلى التعاون بين القطاعين العام والخاص وبين

1 - جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص. 80.

2 - نفس المرجع، ص. 81.

المدني والعسكري، حيث أن إلغاء الحدود الفاصلة ليس بالأمر الجيد، ومع ذلك قد يسبب هذا الوضع تأجيج صراعات جديدة، فبعيدا عن الصراعات في الفضاء السيبراني مع الخصوم، ستظهر الصراعات على السلطة هذه المرة داخل المنظمة العسكرية نفسها وبين العسكريين والمدنيين (ما مدى قدرة الجيش على التدخل في البنية التحتية المدنية على سبيل المثال؟)، فبينما تناقش هذه الوثيقة الحاجة إلى احترام الإطار القانوني للأفعال الإستخباراتية، فإننا لا نجد أي إشارة إلى هذا الإطار فيما يتعلق بالعمليات الهجومية ولا حتى ما يرتبط بمفهوم الأخلاق، وعليه تبقى العلاقة مع القانون أحد أسباب نقاط الضعف وبالتالي يمكن طرح سؤال - بعيدا عن حالة هولندا - يتعلق بالحرية الممنوحة حاليا للجيش في غياب الأطر القانونية الدقيقة¹.

3. اتجاهات التفكير حول القتال السيبراني

يعد المجال السيبراني كحالة جديدة من أنماط الصراع، في ظل بروز اتجاهات جديدة للتنافس الروسي - الأمريكي حول السيادة السيبرانية، وهو ما انعكس على القضايا والاستراتيجيات والتي ستؤثر حتما على مستقبل الصراع السيبراني بين الدولتين من جهة وتأثير ذلك على الأمن الجماعي الدولي من جهة أخرى، وفي ما يلي نبين اتجاهات التفكير حول رؤية كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية حول المجال السيبراني:

أولاً: اتجاهات الخلاف الروسي - الأمريكي حول المجال السيبراني

لقد استحوذت قضية الفضاء السيبراني على اهتمام متصاعد لدى كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، خاصة على إثر تداعيات التحقيقات بشأن التدخل الروسي في الانتخابات الأمريكية بفوز "ترامب"، وبانت ملامح الخلاف حول الاعتداءات تخف وطأتها، إلا أن اتجاهات الخلاف أخذت في التصاعد بعد اتهام روسيا بشن هجمات سيبرانية على حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في أوروبا عام 2018م، خاصة بعد اتهام بريطانيا لروسيا بشن هجمات سيبرانية ضدها، وقد ساعد التوتر التجاري بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية إلى تصاعد الإتهامات، بقيام الصين بالتجسس على الرئيس الأمريكي "ترامب"، ومن جهة أخرى عززت العقوبات الأمريكية على روسيا والصين من التقارب في الرؤى حول المجال السيبراني، وتصاعدت المخاوف من

1 - جوزيف هينروتين وآخرون، مرجع سابق، ص. 81.

استيراد البرمجيات من الخارج لاستخدامها لاستهداف البنية التحتية المعلوماتية، واستخدام القوانين والتشريعات للحماية والرقابة على استيراد التكنولوجيا، والحذر من احتمال ارتباط الشركات التكنولوجية الأجنبية بأهداف دولة معادية، إذ تصاعد الخوف من التعرض للتجسس الاقتصادي والصناعي وتوظيف أجهزة الاستخبارات الأجنبية للمجال السيبراني¹.

وفي محاولة للاستجابة لتلك التهديدات أصبح الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والشرق بقيادة روسيا والصين اللذان يتصارعان على فرض رؤية كليهما لكيفية تشكيل القواعد والمبادئ الدولية، التي من شأنها تنظيم التعامل مع التهديدات المحتملة في الفضاء السيبراني، ومما أربك المشهد الدولي هو تحول الصين وروسيا من العزلة عن السياسات العالمية إلى الانخراط وبشدة بها، بل والسعي إلى وجود كتل قوي في مواجهة كتل آخر بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أدى هذا الخلاف بين كلا الجانبين إلى عدم التوصل إلى اتفاق حول الأمن السيبراني والاختلاف في الرؤية للاستراتيجيات والمبادئ والأهداف والتعريفات التي تعبر عن تضارب في المصالح، والتي تكشف عن تمسك الولايات المتحدة الأمريكية بهيمنتها السيبرانية وبخاصة بعد تدشين قيادة عسكرية للفضاء الإلكتروني عام 2009م، كما عملت أيضا الولايات المتحدة الأمريكية في 7 أوت 2018 بتدشين قيادة عسكرية للفضاء الخارجي لتصبح الفرع السادس للجيش، وهو الأمر الذي يكشف انتقال الصراع حول عسكرة "المجالات الدولية" إلى الفضاء الخارجي بهدف السيطرة والهيمنة ومنع خصومها من الإستفادة من المزايا الإستراتيجية، ومواجهة تطوير روسيا أسلحة فضائية قادرة على استهداف الأقمار الصناعية الأمريكية².

وعلى المستوى الدبلوماسي قدمت روسيا مشروع اتفاقية الأمم المتحدة للتعاون في مكافحة الجرائم المعلوماتية، وذلك في محاولة لاستبدال اتفاقية بودابست لعام 2001م، والتي وقعت عليها الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب 55 دولة أخرى، والتي ترفضها روسيا، حيث تراها تهديدا مباشرا لسيادتها، خاصة فيما يتعلق بالمادة 32 (ب) والتي تسمح لأصحاب البيانات بالسيطرة

1 - عادل عبد الصادق، "صراع السيادة السيبرانية بين التوجهات الروسية والأمريكية"، (2019/10/26)، نقلا عن موقع المركز العربي

للفضاء الإلكتروني، على الرابط التالي: http://accronline.com/article_detail.aspx?id=29415

2 - عادل عبد الصادق، مرجع سابق.

على استخدامها، بدلا من الحكومات، إذ يحاول الإقتراح الروسي وضع قواعد السلوك المتبعة في الفضاء السيبراني، والتحقيق المشترك في الأنشطة الخبيثة، وفي المقابل رأت الولايات المتحدة الأمريكية أن الإتفاقية المقترحة ستعزز من قدرات روسيا وغيرها من الدول السلطوية في السيطرة على الاتصالات في الداخل وفي بقية الدول الأخرى، خاصة بعد تأييد تجمع "البريكس" للمبادرة الروسية، من أجل ضرورة تبني صياغة آلية تنظيمية ملزمة بشأن مكافحة الإستخدام الإجرامي لتقنيات المعلومات والاتصالات تحت رعاية الأمم المتحدة، حيث شمل الخلاف بين القوتين نمطين رئيسيين للصراع، هما:

1. **النمط الأول:** يتمحور حول توظيف القوة "الناعمة" في التدخل الخارجي، وذلك من خلال محاولة روسيا والولايات المتحدة الأمريكية توظيف الفضاء السيبراني في شن الحرب النفسية أو نشر المعلومات المضللة أو دعم المعارضة الداخلية عبر الأنترنت.
2. **النمط الثاني:** يتمحور حول توظيف القوة "الصلبة" في التدخل الخارجي عبر الفضاء السيبراني من خلال تهديد أمن البنية التحتية المعلوماتية عبر شن هجمات سيبرانية وفيروسات تخريبية، وتطوير استخدام "الأسلحة السيبرانية"¹.

جدول رقم 06: اختلاف الرؤى حول الفضاء السيبراني

اختلاف الرؤى حول الفضاء السيبراني		
روسيا والصين	الولايات المتحدة والمملكة المتحدة	القضية
فضاء سيادي	فوضوي	الفضاء السيبراني
دور مركزي للدولة وضرورة التدخل الحكومي	دور مركزي للقطاع الخاص ولا حاجة لضرورة لتدخل الحكومات	التنظيم
دور أساسي للدول ووضع قواعد ومنظمات جديدة للتعامل مع الظاهرة المستحدثة	مشاركة كافة أصحاب المصلحة (حكومة، قطاع خاص، أكاديمي، مجتمع مدني)	حوكمة الانترنت (من يصنع السياسات)

المصدر: عادل عبد الصادق، مرجع سابق.

1 - عادل عبد الصادق، مرجع سابق.

ثانياً: ملامح التغيير في الإستراتيجية الأمريكية تجاه المجال السيبراني

لقد أقرت الولايات المتحدة الأمريكية إستراتيجية جديدة للأمن السيبراني في عام 2018م، واتخذت موقفاً أكثر حدة في القتال السيبراني والحرب السيبرانية عن ذي قبل، وذلك في مقابل تهديدات كل من الصين وروسيا وآخرين، حيث دخلت حيز التنفيذ بعد قرار الرئيس الأمريكي "ترامب" بإلغاء قواعد حددها سلفه "أوباما" للعمليات السيبرانية، والإلتجاه للاستعداد للحرب السيبرانية من خلال بناء قوة أكثر فتكا، وتوسيع التحالفات والشراكات، حيث أن قيام أي دولة بنشاط سيبراني ضدها سيكون الرد بطريقة هجومية ودفاعية ولن يتم بالضرورة في الفضاء السيبراني، وأن فشل عملية ردع الأنشطة السيبرانية التي تشكل استخدام للقوة ضد الولايات المتحدة الأمريكية أو حلفائها ستدفع إلى استخدام القوة المشتركة من القدرات العسكرية رداً على ذلك في المجال المادي، والاتجاه كذلك إلى تبني إستراتيجية قائمة على "الهجوم الدفاعي"، والتحرك إلى الإمام خارج الحدود واختراق شبكات الخصم، وتعزيز القدرات لجمع المعلومات الاستخباراتية والاستعداد للصراعات المستقبلية، فمن وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية؛ أن الفضاء السيبراني يجب أن يعزز من التفوق العسكري وممارسة الأنشطة الاستخباراتية، وحماية الأمن القومي الأمريكي، والعمل على ردع القوى الدولية المنافسة، ومواجهة سرقة الأسرار الصناعية وتهديد البنية التحتية المعلوماتية والنظام الديمقراطي، وذلك من خلال العمل على:

1. ضمان قدرة الجيش الأمريكي: على القتال وكسب الحروب في أي مجال، بما في ذلك الفضاء السيبراني، وحماية الأمن القومي وردع العدوان الذي قد يشنه الأعداء، والإستجابة السريعة للهجمات السيبرانية التي تمثل استخداماً للقوة ضد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها وشركائها الإستراتيجيين.

2. السعي لشن هجمات استباقية: هزيمة أو ردع الأنشطة السيئة عبر الأنترنت، والتي تستهدف البنية التحتية الحرجة، والتي قد تؤثر في قدرة وزارة الدفاع الأمريكية في القتال والدفاع عن المصالح الوطنية، واعتماد أسلوب الدفاع من خلال ضرب مصادر الخطر خارج حدود الولايات المتحدة الأمريكية قبل أن تصل إلى الداخل¹.

1 - عادل عبد الصادق، مرجع سابق.

3. تعزيز التعاون مع الهيئات المعنية: الدفاع مع القطاعين العام والخاص لتنسيق أنماط الاستجابة ونقل الخبرات والتعاون في تنفيذ الإستراتيجية القومية للأمن السيبراني.

4. التعاون مع الحلفاء: من أجل تعزيز القدرة على مواجهة الهجمات السيبرانية، وتعزيز جاهزيتها في مجال الدفاع السيبراني والردع ومواجهة الهجمات وتشارك المعلومات للعمل على فاعلية مواجهة التهديدات السيبرانية وتعزيز وضع الأمن السيبراني.

5. تعزيز قواعد السلوك الرسمي للدولة: في الفضاء السيبراني من أجل العمل على تبني المبادئ الطوعية وغير الملزمة لسلوك الدولة في الفضاء السيبراني، وتأييد عمل لجنة فريق الخبراء الحكوميين التابع للأمم المتحدة المعني بالتطورات في مجال المعلومات والاتصالات في سياق الأمن الدولي (UNGGE).

ثالثاً: التغيير والإستمرار في الإستراتيجية الروسية في المجال السيبراني

لم تدشن روسيا قيادة عسكرية للفضاء السيبراني كما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنها تعتمد على استراتيجيات جديدة لتعزيز قدراتها في مجال القوة السيبرانية، حيث تركز الرؤية الإستراتيجية الروسية على استخدام مصطلح "أمن المعلومات" كمفهوم بديل عن "الأمن السيبراني"، وذلك لأنها ترى أنه مصطلح شامل يغطي الأمن السيبراني باعتباره جزء تابع له، إذ ترى أنه من الصعوبة ممارسة الدولة الرقابة والتنظيم الكامل للأمن السيبراني، حيث تسعى روسيا لبناء معايير دولية من خلال التعاون في الفضاء السيبراني، إما لتعزيز القدرات في مجال مواجهة التهديدات الداخلية لأمن المعلومات أو مواجهة التهديدات الخارجية، ومن ثم فإن أبرز سمات الأمن السيبراني الروسي؛ هو تطبيق السيادة الوطنية على الفضاء السيبراني "Cyber Sovereignty"، لذا فإن "السيادة السيبرانية" ودور الدولة في مجال المعلومات والتنظيم والسيطرة، هي مرتكزات أساسية لإستراتيجية الأمن السيبراني الروسي، وهو ما يجعلها عامل معوق في بناء المعايير الدولية المتعلقة بالأمن السيبراني من وجهة نظر الدول الغربية¹.

يذكر المنظور الروسي في العديد من الوثائق المعنية بالعقيدة الروسية في "ضمان أمن المعلومات"، والذي يُظهر نية الحكومة الروسية لقيادة الجهود الدولية لتحقيق درجات عالية من

1 - عادل عبد الصادق، مرجع سابق.

الأمن، وذلك من خلال العديد من الطرق القانونية والمؤسسية والتكنولوجية وغيرها، وهو الأمر الذي يلاقي انتقادات كبيرة من قبل القوى الغربية مثل الولايات المتحدة الأمريكية، والتي ترى أنها تمارس سياسات استبدادية لقمع الحريات للمعارضة الروسية، وأن ذلك يعبر عن تحكم مفرط في الفضاء السيبراني، وذلك على الرغم من أن المبدأ الأول في إستراتيجية الأمن السيبراني الروسي قد تضمن حرية المواطنين وحقوقهم الدستورية، وهو ما يعني عن عدم ممارسة سيادتها على الفضاء السيبراني إلى مستوى "السيطرة الكاملة"، ولكن يمكن أن يكون أقرب إلى مستوى "الرقابة"، إذ تحتفظ روسيا بعلاقات تعاونية مع الصين في مجال الفضاء السيبراني عبر اتفاقهما عام 2015م، وانضمامها لمنظمة شنغهاي للتعاون، بينما لا توجد علاقات متقاربة مع الولايات المتحدة الأمريكية بشأن التفاوض حول الفضاء السيبراني، ورغم ذلك تصر روسيا على سعيها لإرساء قواعد دولية من خلال التوافق الجماعي الدولي، حيث أن تناقض روسي مع القوى الغربية حول إنشاء معايير الأنترنت الدولية، خاصة فيما يتعلق بالإختلاف بين تناول ومعالجه مفهومي "الفضاء السيبراني" و"السيادة السيبرانية"، وذلك إلى جانب الخلاف بشأن استخدام السلطة السيادية في الفضاء السيبراني و"تهديدات السيبرانية"، والتي تُعرّفها روسيا تحت مصطلح "التهديدات الأمنية المعلوماتية"، حيث تفصل بين تهديدات أمن المعلومات الخارجية والأخرى الداخلية، إذ ترى أنها أكثر حساسية ضد التهديدات السيبرانية الموجهة إلى الداخل الروسي¹.

رابعاً: اتجاهات مستقبل الصراع السيبراني بين روسيا والولايات المتحدة

1. الاتجاه الأول: يتمثل من خلال الإنتقال من الصراع على السيادة في الفضاء السيبراني إلى الفضاء الخارجي، وخاصة مع حالة التداخل بين كلا المجالين ولمواجهة التهديدات الروسية في مجال القوة الفضائية.

2. الاتجاه الثاني: من خلال التحول من الصراع "الناعم" على المعلومات والاستخبارات إلى صراع "صلب" على الاستحواذ على القوة السيبرانية ذات الطابع التدميري، والاستثمار في تطوير واستخدام الأسلحة السيبرانية من أجل تعزيز القيادة والسيطرة.

1 - عادل عبد الصادق، مرجع سابق.

3. **الاتجاه الثالث:** وذلك بالانتقال من الطابع العالمي المفتوح للفضاء السيبراني إلى الحمائية الدولية والدفع نحو "البلقنة" وفرض سيادة الدولة الوطنية في مقابل نظرية الفوضى.
4. **الاتجاه الرابع:** وذلك من خلال تصاعد بناء القدرات في مجال شن الهجمات السيبرانية المنظمة، والتحول من تبني السياسات الدفاعية إلى أخرى هجومية ذات طابع استباقي وهو ما يهدد بعسكرة الفضاء السيبراني.
5. **الاتجاه الخامس:** من خلال تأثير تزايد حالة الإحتقان بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية بسعي كل طرف إلى إيجاد تكتل دولي داعم له وضغط على الطرف الآخر، خاصة وأن العقوبات الأمريكية على روسيا قد ساعدت في التقارب مع الصين.
6. **الاتجاه السادس:** من خلال توظيف الفضاء السيبراني لتحقيق أهداف خارجية، والتدخل في الشؤون الداخلية من خلال دعم حركات معارضة سياسية أو مسلحة سواء عبر تقديم الدعم التقني أو السياسي أو الإعلامي.
7. **الاتجاه السابع:** وذلك عبر التوجه لتوظيف الفضاء السيبراني لفرض العقوبات الدولية على السلوك بمنع تصدير تكنولوجيا عسكرية أو تجسسية أو قطع كابلات الأنترنت الموصلة للدولة أو حجب مواقع مساندة للدولة في الداخل.
8. **الاتجاه الثامن:** عن طريق تصاعد الأنشطة السرية والاستخباراتية وتوظيف برمجيات التجسس والرصد، والتحول من توجيه هجمات سيبرانية من الخارج إلى الداخل إلى توظيف عملاء الإستخبارات أو الدبلوماسيين المقيمين بشن هجمات من الداخل إلى داخل الدولة¹.
- وما يمكن قوله في هذا الصدد أن تصاعد التوتر بين القوتين الأمريكية والروسية إلى جانب دول أخرى سيعمل على تهديد الأمن الجماعي الدولي، وهو ما يعزز اتجاه إعادة الإعتبار للقانون الدولي والمنظمات الدولية في حفظ الأمن والسلام الدوليين، خاصة وأنه من المرجح أن تنتقل الحرب الباردة الجديدة عبر الفضاء السيبراني إلى داخل المعسكر الغربي من قبل روسيا والصين إلى حين تحقيق التوازن الاستراتيجي في النظام الدولي².

1 - عادل عبد الصادق، مرجع سابق.

2 - نفس المرجع.

4. القتال الإلكتروني والأمن السيبراني الشامل

بشكل عام لا يستخدم الروس مصطلحات "kiber" أو "cyber" أو الحرب الإلكترونية "kibervoyna"، إلا عند الإشارة إلى كتابات غربية أو أجنبية أخرى حول هذا الموضوع، وهو مثل الصينيون يميلون إلى استخدام كلمة المعلوماتية، إذ تصور العمليات السيبرانية على أنها في نطاق أوسع من حرب المعلومات "informatsonnaya voyna"، فهذا المصطلح يتم استخدامه من قبل المنظرين العسكريين الروس، فهو مفهوم شامل يتضمن العمليات التي تحدث في شبكة الأنترنت، الحرب الإلكترونية، العمليات النفسية، وعمليات المعلومات، عمليات التضليل الإلكترونية والتخريب السياسي، وبعبارة أخرى السيبرانية تعتبر آلية لتمكين الدولة من السيطرة على المعلومات، والذي يعتبر مجال الحرب في حد ذاته، فوفقاً لعقيدة الجيش الروسي لسنة 2010، الحرب السيبرانية تعتبر واحدة من الميزات العسكرية في الصراعات الحديثة، فهي "التنفيذ المسبق لتدابير حرب المعلومات من أجل تحقيق أهداف سياسية دون استخدام القوة العسكرية في وقت لاحق، من أجل تشكيل استجابة مواتية من الدول المجتمعة من أجل استخدام القوة العسكرية، فأدوات حرب المعلومات في الواقع ينبغي أن يتم تطبيقها قبل بداية العمليات العسكرية من أجل تحقيق أهداف الدولة دون اللجوء إلى استخدام القوة، أو إذا لزم الأمر إلحاق الأذى بالآخرين وإحباط الخصم، والتأكد من أن الدولة قادرة على تبرير أفعالها في أعين العامة، وبذلك تصبح حرب المعلومات، ومن ثم الإمتداد الإلكتروني أداة شرعية للدولة في وقت السلم وكذلك وقت الحرب، وفي هذا الصدد ألمح رئيس الأركان العامة الروسي اللواء "فاليري جيراسيموف Valery Gerasimov" بشكل أكثر عمومية إلى توظيف المعلومات في وقت السلم في مقولته الشهيرة "قيمة العلم في التنبؤ The Value of Science in Prediction"، من خلال قوله: "في القرن الحادي والعشرين، رأينا ميلاً نحو طمس الخطوط بين الدول في الحرب والسلم، ولم تعد الحروب معلنة، وبعد أن بدأت ومضت قدماً وفق نموذج غير مألوف تجربة النزاعات العسكرية، بما في ذلك تلك المرتبطة بما يسمى الثورات الملونة في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، هو ما يؤكد تماماً أنه في غضون أشهر وحتى أيام، يمكن أن تتحول الدولة إلى ساحة للصراع المسلح العنيف وتصبح

ضحية للتدخل الخارجي، وتغرق في شبكة من الفوضى، محدثة كارثة إنسانية وحرباً أهلية¹، وهو ما نلمسه من خلال الحرب في سوريا وليبيا.

وتعتبر حروب الوكالة السيبرانية أحد الحروب الحديثة في القرن الواحد والعشرين والتي تعتمد الفضاء السيبراني كمنصة لشن الحروب والقتال الإلكتروني بشكل غير مباشر، فلم تعد الجيوش العسكرية الضخمة أحد متطلبات حروب الوكالة بعد أن قوضت التطورات على صعيد الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، حتمية وضرورة الوجود على الأرض كأحد متطلبات تلك الحروب، إذ يمكن لأجهزة الكمبيوتر أن تحدث أضراراً في البنى التحتية للدول على نحو تعجز الجيوش العسكرية عن إحداثه، وعليه فمن المحتمل أن يشهد القرن الواحد والعشرين حروباً بالوكالة من قبل خوادم (Proxy Servers) لا قوات (Proxy Forces)، ويدلل على ذلك التقرير الصادر عن وزارة الدفاع البريطانية في عام 2010م بعنوان "الطابع المستقبلي للصراع"، والذي جادل بأن خصوم المستقبل هم: الدول والفاعلون من غير الدول والوكلاء، وهو ما أوعزه إلى عدة تغيرات رئيسية في طبيعة الحرب الحديثة، منها: تصاعد أهمية الشركات العسكرية الخاصة، والاستخدام المتزايد للفضاء السيبراني كمنصة لشن الحروب.

حيث يتزايد تعقيد القتال والحروب بالوكالة في الفضاء السيبراني، مقارنة بغيره من المجالات التقليدية، فمن السهل نسبياً تنظيم وتسليح مجموعة من الأفراد للقتال نيابة عن الحكومات، بيد أن ذلك يتزايد صعوبة في الفضاء السيبراني، وإذا كان ممكناً للدول شراء مختلف مستلزمات ومتطلبات الوكلاء لتسليحهم بالمعنى التقليدي، فإنه في الفضاء السيبراني يتطلب الأمر استثمارات كبيرة في التدريب والتشغيل تبعاً لطبيعة الأهداف، ودرجة تعقد العمليات المطلوبة لتصل التكلفة إلى مئات الملايين من الدولارات²، وفي ما يلي الجدول رقم (07) يبين طبيعة الرعاة والوكلاء والعلاقة بينهما في الفضاء السيبراني:

1 – Michael Connell and Sarah Vogler, **Russia's Approach to Cyber Warfare**, Washington: Center for Strategic Studies CAN, March 2017), pp. 3 – 4.

1 - رغبة البهي، الوكالة السيبرانية.. عوامل النشأة وأنماط الفواعل، مجلة السياسة الدولية، (ملحق اتجاهات تنظرية)، م.54، ع. 218، (أكتوبر 2019)، ص. 15.

جدول رقم 07: أطراف حرب الوكالة السيبرانية

الفاعل (ج)	الفاعل (ب) الوكلاء السيبرانيون		الفاعل (أ) الرعاة
	فاعل من غير الدول	دولة	
	مثل: شركات الأمن الخاصة، والمرتزقة، والقراصنة السيبرانيين، وغيرهم	الدول العميلة Client States	
دولة	قراصنة يوظفون آخرون لاختراق هدف بعينه شركة توظف قراصنة لاستهداف طرف ثالث	الدول الهشة والضعيفة التي توظفها جماعات الجريمة المنظمة	دولة
فاعل من غير الدول			فاعل من غير الدول

المصدر:

Tim Maurer, "'Proxies' and Cyberspace", *Journal of Conflict & Security Law*, Oxford University Press 2016, Vol. 21 No. 3, (Winter 2016), p. 388.

ففي الفضاء السيبراني هناك ثلاثة أطراف رئيسية، أولها الرعاة، وثانيها الوكلاء السيبرانيون، وثالثهما الفاعل المستهدف، وكل طرف من الأطراف الثلاثة قد يكون دولة أو فاعلا من غير الدول، وبطبيعة الحال ينصب تركيز نظرية الوكالة السيبرانية على الرعاة والوكلاء فحسب، وعليه قد تلجأ دولة ما لتوظيف أخرى لتحقيق أهدافها، أو قد توظف فاعلا من غير الدول على شاكلة: المرتزقة والقراصنة، والملشيات السيبرانية وغيرهم، وفي المقابل قد يستغل فاعل من غير الدول الهشة للعمل من خلالها، أو قد يوظف فاعلا آخر على شاكلته كاستعانة القراصنة ببعضهم لتحقيق مختلف الأهداف¹.

وعلى الرغم من تزايد تكلفة الوكلاء السيبرانيين، يلجأ الرعاة إلى توظيفهم للحيلولة دون تصاعد الصراع على خلفية الهجمات السيبرانية، فإذا شنت دولة ما هجوما سيبرانيا علنيا على أحد خصومها على سبيل المثال، فقد تتعرض للانتقام إما في الفضاء السيبراني، أو في مجالات تقليدية أخرى، فمن شأن توظيف الوكلاء السيبرانيين أن يحول دون تورط الرعاة في عمليات ذات تكلفة سياسية أو مادية مرتفعة من ناحية، فضلا عن امتلاك بعض الوكلاء السيبرانيين لعدد من

1 - رعدة البهي، مرجع سابق، ص. 15.

الأدوات، والمهارات والإمكانات التي قد تفنقر إليها الدول أو تتزايد تكلفة تطويرها محليا من ناحية أخرى، إلى جانب الأهداف السابقة؛ قد يهدف الرعاة إلى تجنب الكشف عن قدراتهم أو الحفاظ على "الغموض الاستراتيجي" مع التطورات التكنولوجية المتلاحقة، أو استغلال الفضاء السيبراني لجمع مختلف المعلومات الاستخباراتية عن الأهداف الحكومية، والعسكرية والصناعية والاقتصادية، دون اكتشاف طبيعة أنشطة الرعاة الحقيقية داخل الفضاء السيبراني¹.

ويعد فيروس "ستكسنت" الذي طورته وكالة الأمن القومي الأمريكي، بالتعاون مع الوحدة 8200 التابعة للجيش الإسرائيلي أحد أبرز الأمثلة على توظيف الوكلاء السيبرانيين، وهو الفيروس الذي حال دون تورط إسرائيل في عمل عسكري مباشر ضد إيران، جنبا إلى جنب مع اتباع استراتيجية سرية غير مباشرة لوضع الطموحات الإقليمية الإيرانية تحت المراقبة، فقد تجلى في ذلك المثال كيفية الإستعانة بوكيل سيبراني في صورة "فيروس" بهدف تقويض الخصم، وفي الحالة الروسية فقد أثبتت "استراتيجية الوكالة" تراجع تكلفتها، وتزايد فاعليتها في تحقيق أهداف السياسة الخارجية، حيث وظفت روسيا الهجمات السيبرانية كجزء من مقاربة "المواجهة المعلوماتية" الأوسع نطاقا، بحيث تتزامن أنشطة الوكلاء مع العمليات العسكرية التقليدية، فشنت روسيا هجماتها السيبرانية ضد استونيا وأوكرانيا من قبل وكلاء سيبرانيين، كما اتضح في حالة جورجيا قيام الوكلاء السيبرانيين الموالين لروسيا على شاكلة "منظمة ناشي Nashi Youth Organization" بشراء أسلحة سيبرانية مطورة، وهو ما عكس تراجع قدرة روسيا على كبح جماح اختيارات وكلائها لنوعية وطبيعة الأسلحة والمواقع المستهدفة، إذ يصعب تحديد طبيعة العلاقة الدقيقة بين الرعاة والوكلاء، ودرجة السيطرة التي تفرضها الأولى على الأخرى، بالإضافة إلى ذلك؛ فقد اتبعت كل من جورجيا وأوكرانيا النموذج الروسي للهجمات السيبرانية، واعتمدتا على وكلاء سيبرانيين للانتقام، كما استخدمت إيران "فيروس شمعون Shamoon Virus" الوكيل الإيراني الذي يأخذ صورة السلاح السيبراني، بهدف إعاقة شبكات شركات الطاقة في عدد من الدول الخليجية، وتضررت نتيجة لذلك شركة "أرامكو" السعودية، وأكثر من 30.000 جهاز كمبيوتر، بعد أن تم تعطيل الشبكة

1 - رعدة البهي، مرجع سابق، ص ص. 15 - 16.

بواسطة الفيروس، وعلى الرغم من التفاوت بين فيروسي "شمعون" و"ستكسنت Stuxnet*"؛ فإن الأول يوضح قدرات إيران السيبرانية على توليد مؤثرات دائمة مقارنة بما هو متوقع¹. ويلجأ الوكلاء السيبرانيون إلى استخدام البرامج الضارة لتقويض أداء أجهزة الكمبيوتر، وتعطيل المعدات المتصلة بها، وسرقة البيانات سرا، ولذا أيضا تتطوي الآثار المباشرة للهجوم السيبراني على بعض الإضطرابات في البرامج والأجهزة العادية التي تعمل على النظام المصاب، في حين تتضمن الآثار غير المباشرة فقدان البيانات أو تلف البيئة التحتية، ولإحداث تلك الآثار قد تتخطى هجمات الوكلاء السيبرانيين الحواجز المادية، وذلك على شاكلة هجمات "ستكسنت"، وتقد تعمل البرامج الضارة دون أي مدخلات أو إشراف من المهاجم البشري بعد أيام وسنوات من إستخدام المهاجم للوحة المفاتيح، وقد يعمل الوكلاء بشكل غير مباشر، ليس فقط من خلال استغلال التكنولوجيا المدعومة اجتماعيا، بل من خلال الهندسة الاجتماعية أيضا²، وفي ما يلي يتم تبيان أنماط الوكلاء السيبرانيين:

1 - أنماط الوكلاء السيبرانيين:

لقد صنّف كل من "إيريك بورجارد" و"شون لونجران" الوكلاء السيبرانيين تبعا لمعيارين رئيسيين، هما: طبيعة الوكلاء (سواء كانوا أفرادا أو جماعات)، ونوعية الأهداف التي يسعون لتحقيقها (سواء كانت سياسية أو اقتصادية)، ووفقا لهما يشمل الوكلاء السيبرانيين مجموعة واسعة نسبيا من الفاعلين تضم: المتسللين الوطنيين والمنظمات الإجرامية، والإرهابيين السيبرانيين وغيرهم، حيث يختلف الوكلاء السيبرانيون تبعا لمعيارين أساسيين هما: مدى ومستوى التنظيم والأهداف المرجوة³، أما "تيم مورير" فقد صنّف الوكلاء السيبرانيين إلى عدة فئات، وذلك على النحو التالي:

* ستكسنت Stuxnet: عبارة عن فيروس خبيث هاجم واستهدف مفاعل "نتانز" النووي في إيران في عام 2010.

1 - رعدة البهي، مرجع سابق، ص. 16.

2 - رعدة البهي، مرجع سابق، ص. 17.

3 - نفس المرجع، ص. 17.

أ - **الفئة الأولى:** وتضم بعض المؤسسات الوطنية التي يتم الإعتماد عليها كليا من قبل الدول، مثل: أجهزة الدولة، أو مؤسسات الدولة الحكومية، وذلك على شاكلة الوحدة السيبرانية التابعة لرابطة الدفاع الإستونية.

ب - **الفئة الثانية:** وتضم فاعلين من غير الدول، لكن تحت إشراف أو سيطرة الدولة، مما يعني أن عملياتهم تخضع للدول.

ج - **الفئة الثالثة:** وتضم فاعلين من غير الدول لا يخضعون لسيطرة الدولة الشاملة، بمعنى أن الدولة لا تسيطر عليهم بشكل مباشر أو عملياتهم، لكنها تمارس شكلا من أشكال السلطة العامة، من خلال المشاركة في التخطيط، أو الإشراف أو التنظيم أو التنسيق بل وحتى التوقف.

د - **الفئة الرابعة:** تشمل رعاية الدولة الإيجابية لأحد الفاعلين من غير الدول، دون أن يتلقى الأخير دعما محددا لكنه عام، فعلى سبيل المثال وصف المرشد الإيراني "آية الله خامنئي" مجموعة من طلاب الجامعات بعملاء الحرب السيبرانية¹.

2 - طبيعة العلاقة بين الرعاة والوكلاء:

عادة ما تعمل الدول مع الوكلاء السيبرانيين بشكل عابر كي تتمكن من تجنب الإسناد بسهولة، ولا تتكرر الإستعانة بهم إلا عندما يفتقر الرعاة إلى القدرات البشرية اللازمة من السكان الأصليين، فالعلاقات المتواترة مع الوكلاء السيبرانيين تقلل من تكلفة المعاملات، وتمكن الدول من تجنب الإستثمار في القدرات الهجومية، ولكن قد يقوض ذلك فرص الرعاة في إنكار صلتهم بالوكلاء السيبرانيين، لأن العلاقات المتكررة أسهل في تحديدها من مثيلتها العابرة، ولإدارة العلاقة بين الطرفين، يقرر الرعاة مستوى القيادة والسيطرة المفروضة على الوكلاء السيبرانيين، ولكن قد يقاوم بعض الوكلاء - خاصة مع تزايد درجة تنظيمهم - السيطرة المفروضة، وفي هذا السياق توفر الدول والوكلاء السيبرانيين الموارد المالية والأسلحة والتدريب، والدعم السياسي والتنظيمي، وفي المقابل يوافق الوكلاء على تنفيذ مختلف العمليات نيابة عن الدول لمساعدتها على تنفيذ أهدافها، واستهداف الخصوم بشكل غير مباشر، وبالتالي الحد من الصراع المباشر والتكاليف

1 - رغدة البهي، مرجع سابق، ص ص. 17 - 18.

السياسية الناجمة عن عمل الوكلاء، وبشكل عام يمكن تأطير علاقات الوكالة السيبرانية في ثلاثة أنواع رئيسية¹، وهي:

1 - التفويض: بمعنى تفويض السلطة لوكيل للتصرف نيابة عن الدول وتحت رعايتها، وأفضل مثال على ذلك علاقة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بالمتعاقدين معها في مجال الدفاع (Defence Contractors).

2 - التنسيق: يشير إلى تجنيد الوكلاء على أسس طوعية، من خلال تزويدهم بالدعم المادي واستخدامهم في مواجهة الفاعلين المستهدفين سعياً لتحقيق الأهداف السياسية، مثل قيام المتسللين الإيرانيين بمهاجمة الصناعة المالية الأمريكية في الفترة من عام 2011م إلى 2013م.

3 - العقوبات: أي الدعم السلبي للوكلاء السيبرانيين من خلال التسامح عن قصد، رغم امتلاك القدرة لفعل عكس ذلك مثل العلاقة بين بعض قرصنة الأنترنت الروس والحكومة الروسية.

وعموماً تتسم العلاقة بين الرعاة والوكلاء بالطابع غير المباشر وغير الرسمي، إضافة إلى السرية والإنكار والأهم المنفعة المتبادلة، حيث يوفر الوكيل السيبراني السلع السياسية والمادية ذات القيمة لمختلف الرعاة، إذ تشير السلع السياسية إلى تحقيق أهداف الرعاة مع تجنب الإنخراط المباشر في عمليات أو مجالات معينة، دون الإضرار بسمعتها، أما السلع المادية فتشير إلى القدرات التقنية والخبرات البشرية، والاستخبارات اللازمة لمختلف الهجمات السيبرانية، وفي المقابل تتزايد أهمية الحوافز المالية التي يحصل عليها الوكلاء السيبرانيون سواء من حيث التحويلات المباشرة للأموال، أو القيام بأنشطة غير قانونية في الفضاء السيبراني للأهداف المادية على شاكلة قرصنة البنوك، وإلى جانب ذلك يمكن للحكومات أن تزود الوكلاء السيبرانيين بمعدات قيمة بما في ذلك الأجهزة، والبرامج الحساسة والمكلفة التي تحتكرها الدول، ومن خلالها يمكن للوكلاء اختبار قدراتهم وتطويرها وتوظيفها في العمليات الأخرى².

1 - رعدة البهي، مرجع سابق، ص. 18.

2 - نفس مرجع، ص. 18.

الخاتمة

لقد تم التطرق في إلى نظريات فضاءات القوة والتي تعتبر فضاءات إستراتيجية قد ساهم في ظهورها وتطورها مجموع من المفكرين والجغرافيين والإستراتيجيين، من وجهات نظر مختلفة رأوا من خلالها أولوية فضاء قوة على آخر من أجل تحقيق السيطرة والنفوذ على العالم، وفي الوقت الراهن ينظر إلى أن الدولة أو القوة التي تجتمع فيها قدرات ومقومات فضاءات القوة الخمسة فإنها سوف تخلق التفرد في العالم ويحسب لها ألف حساب، كما أنه يمكن لها أن تحقق النصر من دون الدخول حتى في الحرب والإحتكاكات المباشرة، لذلك تسعى القوى الكبرى على غرار الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين إلى تحقيق أكبر قدر من القوة في مختلف الفضاءات والمجالات، حتى لا تظهر في موقف القوة الأضعف مما خلق بينهم سباق إستراتيجي للتطلع نحو الأفضل لكل من منهم.

قائمة المراجع

1 - باللغة العربية:

- 1 - نوار محمد ربيع الخيري، مبادئ الجيوبوليتيك، (بغداد: دار ومكتبة عدنان للنشر ودار أفكار للدراسات والنشر، 2014).
- 2 - عامر مصباح، نظريات التحليل الإستراتيجي والأمني للعلاقات الدولية، (القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2011).
- 3 - محمد رزيق، الجيوبوليتيكا: المفاهيم والدلالات - المدارس والنظريات، (الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2014).
- 4 - محمد عرب الموسوي وماجد صدام سالم، الجغرافيا السياسية بين النظرية والتطبيق الجيوعسكري، (عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع، 2019).
- 5 - جوزيف هينروتين وآخرون، حرب واستراتيجية: نهج ومفاهيم (الجزء الثاني)، (ترجمة: أيمن منير)، (الصفاء/ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، جوان 2019).
- 6 - يسري أبو شادي، "انفجار الصاروخ الروسي... بين الحقيقة والأكذوبة"، مجلة السياسة الدولية، م.54، ع.218، (أكتوبر 2019).
- 7 - مصطفى طلاس وآخرون، الإستراتيجية السياسية العسكرية، الجزء الثاني، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 2011).
- 8 - جون إس. ديفيس وآخرون، تهديدات مجهولة المصدر: نحو مساءلة دولية في الفضاء الإلكتروني، (كاليفورنيا: مؤسسة راند للطبع والنشر الإلكتروني، 2017).
- 9 - إبتسام عبد الزهرة العقبي، "نظرية قلب الأرض بين الجغرافيا والفضاء الإلكتروني (رؤية مستقبلية)"، (2019/02/10)، نقلا عن الرابط التالي: <https://ibtisamalikabi.wordpress.com>
- 10 - ماثيو س. وليامز، "عسكرة الفضاء: هكذا ستبدو قوة الفضاء"، (2019/10/24)، نقلا عن الرابط التالي: <https://www.noonpost.com/content/29022>
- 11 - سامي السلامي، "كسر الحصار.. الصواريخ "الفرط صوتية" والحفاظ على قدرة الردع الروسية"، مجلة السياسة الدولية، ملحق تحولات إستراتيجية، م. 54، ع. 218، (أكتوبر 2019).
- 12 - حمدون إ. توريه وآخرون، البحث عن السلام السبيراني، (جنيف: الإتحاد الدولي للإتصالات والاتحاد العالمي للعلماء للطبع، جانفي 2011).

- 13 - جون إس. ديفيس وآخرون، تهديدات مجهولة المصدر: نحو مساءلة دولية في الفضاء الإلكتروني، (كالفورنيا: مؤسسة راند للطبع والنشر الإلكتروني، 2017).
- 14 - روبرت كنيك، حوكمة الأنترنت في عصر إنعدام الأمن الإلكتروني، (ترجمة: بدر الدين دبسي)، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2011).
- 15 - مالك عوني، "سباق الأسلحة فائقة السرعة وأوهام سلام العولمة"، مجلة السياسة الدولية، ملحق تحولات استراتيجية، م. 54، ع. 218، (أكتوبر 2019).
- 16 - عادل عبد الصادق، "صراع السيادة السيبرانية بين التوجهات الروسية والأمريكية"، (2019/10/26)، نقلا عن موقع المركز العربي للفضاء الإلكتروني، على الرابط التالي:
http://accronline.com/article_detail.aspx?id=29415
- 17 - رغبة البهي، الوكالة السيبرانية ..عوامل النشأة وأنماط الفواعل، مجلة السياسة الدولية، (ملحق اتجاهات نظرية)، م. 54، ع. 218، (أكتوبر 2019).
- 2 - باللغة الأجنبية:

18 - Steven Elliott, "Analysis on Defense and Cyber Warfare", July 08, 2010, (06/11/2019), see the link: <http://infosecisland.com/blogview/5160-Analysis-on-Defense-and-Cyber-Warfare.html>

19 - Simon Kemp, Digital, Social, And Mobile in APAC 2015, March 2015, Singapore.

20 - Michael Connell and Sarah Vogler, Russia's Approach to Cyber Warfare, Washington: Center for Strategic Studies CAN, March 2017).

21 - Tim Maurer, "'Proxies' and Cyberspace", Journal of Conflict & Security Law, Oxford University Press 2016, Vol. 21 No. 3, (Winter 2016).